النَّزْعَةُ الجِنْسِيَّةُ فِي شِعْرِ نِزَار قَبَّانِي السِّيَاسِيّ

د. مُحَمَّد مَحْمُود أَبُو عَلِيّ

أستاذ النقد والبلاغة المساعد

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة دمنهور

مصر

الاستلام	٢٠١٩/١/٥	المراجعة	٢٠١٩/٢/٢٦	النشر	٢٠١٩/٤/٣٠

المُلَخَّص:

يسعى هذا البحث للوقوف على النَّزْعَة الجِنْسِيَّة فِي شِعْرِ نِزَار قَبَّانِي السِّيَاسِيّ، ذلك الشاعر الذي عاش سجينًا في مقاصير النساء حَتَّى في شعره السياسيّ؛ فقد صَعَدَ بالرواسب الجِنْسِيَّة الكامنة في أعماق لا شُعُوره وتكوينه الذِّهْنِيّ - منذ الطُّفُولة – إلى السطح، بعد أن كُبِتَتْ زَمَنًا طَوِيلاً؛ فبرزت النزعة الجِنْسِيَّة، تِلْك القُوَّة الدافعة في نفسه، جَلِيَّة في كُلّ أغراض شعره، ولا سيما شعره السياسيّ؛ فقد كان الجنسُ إفرازًا لِمَا تَرَسَّبَ في أعماق نفسه منذ الطُّفُولة.

وقد تَحَدَّثَ بِلِسَانِ المَرْأَة، وكَشَفَ عن عَمِيق فَهْمِه لِنَفْسِيَّتِهَا، واستعار صَوتَها؛ حيث رأى أن قضية المرأة قضية مجتمع، وهو شاعرٌ يُؤْمِن بقضية تحرُّر الإنسان أينما كان، ويرى أَنَّ الحرية أساس الجمال في الحياة.

نَدَّدَ نِزَار بسياسة الحكام المُسْتَبِدِّينَ، الذين يستغرقون في صُنُوف المَلَذَّات والمُتَع، ويَقْعُدُونَ عَنِ الجِهَاد، ويُهْمِلُونَ –تمام الإهمال– أُمُور الرعية.

وكان الوطن، بالنسبة إليه، يُمَثِّل علاقة مُحِبّ بِمَحْبُوب، ويَشْمَلُ كُلَّ الدولة العربيَّة: (دمشق – بيروت – القاهرة – بغداد – الخرطوم – الكويت – الجزائر – أبو ظبي)، وغيرها؛ فَإِنَّ كُلَّ هذه المدائن –كما يقول– أنزلته من رَحِمِهَا، وأرضعته من ثَدْيِهَا.

وقد تَضَمَّنَ البَحْثُ تمهيدًا ومبحثين وخاتمة، واشتمل التمهيد على: إِبْدَاع نِزَار قَبَّانِي، والمَرْأَةُ فِي حَيَاةِ نِزَار قَبَّانِي وَشِعْرِه، وشِعْرُ نِزَار قَبَّانِي السِّيَاسِيّ.

تناول المَبْحَثُ الأَوَّلُ: أَسْبَاب النَّزْعَةِ الجِنْسِيَّة فِي شِعْرِ نِزَار قَبَّانِي السِّيَاسِيّ، وانقسم إلى: المُؤَثِّرَاتُ الاجْتِمَاعِيَّةُ، والمُؤَثِّرَاتُ النَّفْسِيَّة، وعَرَضَ المَبْحَثُ الثَّانِي: أَعْرَاض النَّزْعَةِ الجِنْسِيَّة فِي شِعْرِ نِزَار قَبَّانِي السِّيَاسِيّ، وفيه: تَكْرَارُ كَلِمَة (جِنْس)، تَكْرَارُ كَلِمَة (نَهْد)، مَزْج السِّيَاسَة بِالجِنْس.

لقد اجتمعت مؤثرات اجتماعيَّة ونفسيَّة وتآزرت لتؤدي إلى ظهور هذه النزعة الجِنْسِيَّة في شعر نزار قباني السياسيّ، وتَدُلُّ أَشْعَارُهُ على أنه لم يَتَخَلَّ عَنِ النَّزْعَة الجِنْسِيَّة، على الرغم من أحزانه؛ فهو يَنْظُرُ إلى قضايا الوُجُود من خلال المرأة وجسدها المُثِير، ومنها القضايا السياسيَّة، وَمِنْ ثَمَّ اصْطَبَغَ شِعْرُهُ السِّيَاسِيّ بالنزعة الجِنْسِيَّة؛ فقد مَزَجَتْ لغتُهُ الشعريَّة ما بين النزعة الجِنْسِيَّة، والشعر السياسيّ، المُتَمَثِّل في المقاومة والقوميَّة الوطنيَّة والعربيَّة.

وإذا كان منهج هذا البحث منهجًا نفسيًّا، يقوم على تَتَبُّع ملامح نفسيَّة الشاعر، وخطرات فؤاده، ورصدها من خلال تفاعلها مع أحداث مجتمعه، ومؤثرات بيئته، فإنه –في الوقت نفسه– منهجٌ فني، يقوم على التحليل والنقد والتذوُّق.

الكلمات المفاتيح:

الشعر السياسي – الجنس – نزار قباني – التحليل النفسي.

The sexual pulsion in the political poetry of Nizar Qabbani

Dr. Mohamed Mahmoud Abu Ali

Associate Professor of Rhetoric and Criticism

Department of Arabic Language and Literature

Faculty of Art, Damanhour University

Egypt

Received	5/1/2019	Revised	26/2/2019	Published	30/4/2019

Abstract:

This research seeks to spot the sexual pulsion in the political poetry of Nizar Qabbani who lived imprisoned in women's closets even in his political poetry. Qabbani has let his sexual settlings, deeply hidden in his subconscious and mentality, come to the fore after being suppressed for long. Thus, his sexual pulsion, that driving force inside him, stood out clear in all his poetic purposes especially his political poetry. Sex was a manifestation of what had been settled deep within himself since childhood.

He spoke for the woman and revealed his deep understanding of her psyche. He also borrowed her voice because he considered the problem of woman relates to the whole society. Qabbani is a poet who believes in the liberation of man wherever he is; and he perceives freedom as one of the basics of beauty in life.

He criticized the dictator rulers who are absorbed in all pleasures and delights. Such rulers who abstain from Al Jihad and totally neglect their people.

For Qabbani, homeland was just like a relationship between two lovers. All Arab countries were homeland for him; Damascus, Beirut, Cairo, Bagdad, Khartoum, Kuwait, Algeria, and Abu Dhabi, among others. As he said, all these cities gave birth to him and fed him.

The research comprises an introduction, two sections and a conclusion. The introduction included the reasons behind Qabbani's sexual pulsion in his political poetry. It is divided into social influences and psychological influences. The second section presented the manifestations of the sexual pulsion in his political poetry. It mentions the repetition of words such as "sex," "breast" as well as the blending of politics with sex.

Many social and psychological factors gathered and led to the sexual pulsion in Qabbani's political poetry. His poetry proves that he did not abandon such pulsion despite his sorrows as he looks to the ontological issues through the woman's sexy body including the political issues. Thus, his poetry is characterized by his sexual pulsion and his poetic language combines the sexual pulsion with political poetry represented in resistance and homeland and Arab nationalism.

The research adopts a psychological scope in its methodology; and traces the poet's psychological characteristics. It also monitors them and their interaction with events in society and with influences in his environment. However, this research also adopts an artistic scope based on analysis, criticism and taste.

Keywords:

Political Poetry - Sex - Nizar Qabbani - Psychoanalysis.

مُقَدِّمَة:

لا شك في أَنَّ نِزَار قَبَّانِي يُمَثِّلُ مَعْلَمًا بَارِزًا من معالم الشعر العربيّ في العصر الحديث، بوصفه ظاهرةً فريدة، وهو شَاعِرٌ مَوهُوب مُبْدِع، عَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ -بِصِدْقٍ- فِي شِعْرِه، والتصق بقضايا عصره، وهُمُوم مجتمعه؛ لِذَا جَرَى شِعْرُهُ عَلَى ألسنة الناس، واستحوذ على انتباههم، ونال إعجابهم؛ لأنه استطاع - بثورته على ما أَلِفَهُ الناس من عادات وأنماط لغويَّة وبلاغيَّة، وخروجه عنه، وتجاوزه - أَنْ يَنْفَذَ إلى أعماقٍ خَفِيَّة في النفس الإنسانية، تُثِيرُ شُعُورًا بِالحَيرَة وَالإِدْهَاش.

والمرأة هي الحِضْن الذي يَسْتَدْفِئُ الرَّجُلُ في ظِلِّهِ، وهي مصدر إلهام الشعراء، وقد تَغَنَّى نِزَار بِمَفَاتِنِ المَرْأة وجمالها؛ فهو شاعر المرأة، الذي دَافَعَ عن قضاياها، وطَالَبَ بحُقُوقِهَا، وتَحَدَّثَ بلسانها، وأعلن ثورتها؛ فقد تَفَرَّغَ خَمْسِينَ عَامًا لِمَدْحِ النِّسَاء.

ودَعَا المرأة إلى المُجَاهَرة بالعِصْيَان، وأرشدها إلى رَفْعِ صَوتها للمطالبة بالحُرِّيَة، والحقوق كَافَّة، وطَلَبَ مِنها أن تثور على كُلِّ الأَوضَاعِ الجَائِرَة، وتَتَمَرَّد على ما يُكَبِّلُ حُرِّيَتها، والمرأة عنده هي: الأُم، والأُخت، والزوجة، والحبيبة، والصديقة، والمُنَاضِلَة.

وقد عَبَّر عن مشكلات المرأة وقضاياها في كثير من قصائده، مثل: (أنا محرومة)، (امرأة من دخان)، (رسالة من سيدة حاقدة)، (الحُبّ والبترول)، وغيرها.

إن طفولة نِزَار قَبَّانِي لها الفضل الأول في تنمية شخصيته؛ فقد كان لنشأته في دِمَشق اليد الطُّولَى في تكوين نفسيته وتوجيه سُلُوكه؛ فقد تَبَلْوَرَتْ صورتها في جوف عقله ووِجْدَانه؛ فَخَلَقَتْ منه شاعرًا حَسَّاسًا مُخْتَلِفًا عن غَيره.

ولم تكن الطبيعة الجميلة المُؤَثِّر الوحيد في نفسيته؛ لأنه لم يكن شاعرًا عاطفيًّا وحسب؛ بل كان شاعرًا شُجَاعًا في ثورته، قويًّا في حُبِّ وَطَنِهِ، رافضًا للأُمُور غَير المَنْطِقِيَّة في الحياة السياسيَّة، ولم تكن هذه الشجاعة وليدة اليوم أو أمس، لقد وَرِثَهَا هذا الشاب المُتَمَرِّد مِنْ أَبٍ وَطَنِيّ ثَورِيّ، جَعَلَ مِنْ بيته مَعْقِلاً للثورة والوطنيَّة؛ فكان في نظر ابنه بطلاً، ورَسَّخَ في وجدانه العِشْق بِكُلِّ أنواعه، وعلى رأسه عِشْق الوطن.

وللمرأة تأثيرها البالغ في حياة نِزَار، وقد بدأ هذا التأثير مَعَهُ من المَهْد؛ فقد كانت أُمُّه هي العامل الأقوى تَأْثِيرًا في وِجْدَانِهِ تِجَاه المرأة، تلك المرأة البسيطة الهادئة، التي لا تَعْرِفُ في حياتها سِوَى عِبَادَة إلهٍ واحد، وحُبّ رَجُلٍ واحد، والارتباط بِبَيتٍ وَاحِد هو بيت أولادها وزوجها؛ فلم يكن في تلك المرأة شيءٌ مِنْ تَكَلُّف أو زِينَة مُزَيَّفة؛ فَإِنَّها امْرَأة عَلَى فِطْرَةِ الله التي خَلَقَهَا عَلَيهَا.

وقد ظَلَّ نِزَار يبحث عن أُمِّه في كُلِّ امرأة عرفها، وكُلّ امرأة كَتَبَ عنها، أو وَصَفَها في كتاباته، الشعريَّة أو النثريَّة؛ فلم تكن المرأة عنده، كما يَزْعُمُ بَعْضَ البَاحِثِينَ مُجَرَّد جسد أو حالة جنسيَّة، بل كانت -دائمًا- قَضِيَّة يُدَافِعُ عنها، ويُعَبِّر عن مشكلاتها وهمومها.

كما كان لموت أخته وِصَال عِشْقًا دَورٌ كبير في تكوين نفسيته العاشقة وإلهامه الشعريّ.

وقد كانت شخصيَّة نِزَار محور جدل ونقاش بين كثير من النُّقَّاد والدَّارِسِينَ، مثل: جهاد فاضل، شاكر النابلسي، محمد مصطفى هدارة، فُؤَاد دَوَّارة، ووُجِّهَتْ إليه عِدَّة اتهامات؛ منها: الدونجوانيَّة، والشهريارِيَّة، والنرجسيَّة، والساديَّة، وغيرها[1]

أَهْدَافُ البَحْثِ:

لم أَجِدْ دراسة مستقلة منفصلة –فيما أعلم– أخذت على عاتقها محاولة الكشف عن النَّزْعَة الجِنْسِيَّة فِي شِعْرِ نِزَار قَبَّانِي السِّيَاسِيّ، وأُحَاوِلُ فِي هذا البحث استجلاء الأسباب، الاجتماعيَّة والنفسيَّة، التي أدت إلى ظهور هذه النزعة فِي شِعْرِه السِّيَاسِيّ، وأثرها في لغة شعره السياسيّ المصبوغ بصِبْغَة جِنْسِيَّة.

مَنْهَجُ البَحْثِ:

تَعَدَّدَتْ المناهجُ التي يتكئُ عليها النُّقَّاد في تقويم النص الشعريّ ودراسته، وقد استعنتُ بالمنهج النفسيّ الذي يقوم على تَتَبُّع ملامح نفسيَّة الشاعر، وخطرات فؤاده، ورصدها من خلال تفاعلها مع أحداث مجتمعه، ومؤثرات بيئته، إلى جانب المنهج الفنيّ في تَذَوُّق النصوص وفَهْمِها.

وقد جاء البحثُ في تمهيدٍ ومبحثين وخاتمة، اشتمل التمهيد على: إِبْدَاع نِزَار قَبَّانِي، والمَرْأَة فِي حَيَاته وَشِعْرِه، وشِعْره السِّيَاسِيّ.

تناول المَبْحَثُ الأَوَّلُ: أَسْبَاب النَّزْعَة الجِنْسِيَّة فِي شِعْرِ نِزَار قَبَّانِي السِّيَاسِيّ، وانقسم إلى: المُؤَثِّرَات الاجْتِمَاعِيَّة: تَعَلُّقه الزَّائِدُ بِأُمِّهِ، وانْفِعَاله بِهُمُومِ وَطَنِهِ الذِي عَدَّهُ حَبِيبَةً لَهُ، وعِشْقه لِلحُرِّيَةِ، والمُؤَثِّرَات النَّفْسِيَّة: الغَرَائِز الجِنْسِيَّة المَكْبُوتَة، والشَّبَق الجِنْسِيّ، والنَّرْجِسِيَّة، وعَرَضَ المَبْحَثُ الثَّانِي: أَعْرَاض النَّزْعَةِ الجِنْسِيَّة فِي شِعْرِ نِزَار قَبَّانِي السِّيَاسِيّ، وفيه: تَكْرَار كَلِمَة (جِنْس)، تَكْرَار كَلِمَة (نَهْد)، مَزْج السِّيَاسَة بِالجِنْس.

تَمْهِيـــدُ:

أولاً: إِبْدَاع نِزَار قَبَّانِي:

الشِّعْرُ عِنْدَ نِزَار قَبَّانِي فَنّ استفزاز وإدهاش الآخرين؛ فَإِنَّ كُلّ قَصِيدة يَكْتُبُهَا -كما يقول- تُثِيرُ زَوَابِع وَحَرَائِق؛ لأنه يَصْدِمُ عَوَاطِفَ النَّاسِ وقَنَاعَتهم الراكدة[٢] إنَّ تَجْرِبَته الشعريَّة «تَتَّسِمُ -منذ بداياته الأولى- بالتجديد والانعطاف نحو الجديد، وهي تَجْرِبة لها خُصُوصيتها، في بنائها الجماليّ الفنيّ وقدرتها التعبيريَّة لغةً وشكلاً، وفي طريقة الاستجابة الموضوعيَّة للواقع»[٣].

إنَّ العمل الإبداعيّ يسعى «لإلغاء الأشكال والأفكار والقناعات القديمة وتأسيس أشكال وأفكار وقناعات جديدة»[٤] لأنَّ عبقريَّة الشاعر «تتجسد في قدرته الدائمة على اختراع كلام جديد لمواضيع قديمة»[٥] فلا يوجد «شعر حقيقيّ خارج التَّحَدّي والمغامرة»[٦].

وتجعلُ عَمَلِيَّةُ الإِبْدَاعِ الشَّاعِرَ مُضْطرًّا إلى «تغيير العلاقات التاريخيَّة والعُضْوِيَّة بين الأشياء التي لا تريدُ أَنْ تَتَغَيَّر»[٧] ومن هنا يكتسب قول دورنمات: «(إِنَّ الشِّعْرَ هو اغتصاب العالَم بالكلمات) أهمية خاصَّة؛ فدون اغتصاب لا يوجد شعر، والاغتصاب هنا يعني تَمْزِيق الغِشَاء الذي تَنْسُجُه المفردات والأفكار والعواطف حول نفسها مع تَقَادُمِ الزَّمَنِ، إنه يَعْنِي إخراج الشعر مِنْ مَمْلَكَة العَادَة والإِدْمَان إلى مملكة الدهشة، وعظمة الشاعر تُقَاسُ بِقُدْرَتِهِ على إحداث الدَّهْشَة، والدهشة لا تكون بالاستسلام للأُنْمُوذَج الشعريّ العام، الذي يكتسب مع الوقت صفة القانون السرمديّ، لكن تكون بالتمرُّد عَلَيه، ورَفْضه، وتَخَطِّيه؛ فالشعر ليس انتظار ما هو مُنْتَظَر، وإنما هو انتظار ما لا يُنْتَظَر»[٨] فَإِنَّ وظيفة القصيدة العربيَّة الحديثة «أَنْ ترمينا على أرض الدهشة والتوقُّع، وتُسَافِرُ بِنَا إلى مُدُنِ الغَرَابة»[٩] ولأنَّها «تتعامل مع اللا مُنْتَظَر والمجهول؛ فهي قصيدة صعبة، والدخول إليها صعب»[١٠].

يقول نِزَار: «مفاتيح شعري ثلاثة: الطُّفُولة والثَّورة والجُنُون، وبالطُّفُولة أَعْنِي كُلّ ما هو براءة ومكاشفة وتلقائية؛ فالطفل والشاعر هُمَا الساحرانِ الوحيدانِ القادرانِ على تحويل الكَون كُرَةً بَنَفْسَجِيَّة معدومة الوزن.

وبالثَّورَة، أَعْنِي إِحْدَاث خلخلة وتَشَقُّق وكُسُور في كُلِّ المَورُوثَات الثَّقَافِيَّة والنفسيَّة والاجتماعيَّة التي أخذت شكل العَادَة أو شَكْل القَانُون.

وبالجُنُون، أَعْنِي تفكيك ساعة العقل القديمة، والاعتراض العنيف على كُلِّ الأحكام القراقوشيَّة الصادرة علينا قبل ولادتنا».[١١] إِنَّ شَهْوَةَ الكِتَابَةِ شَهْوَةٌ جَامِحَة، «لا يُمْكِن للكَاتِب أن يُقْلِعَ عنها»![١٢] «لهذا تَروني باقيًا في الكتابة، مُتَشَبِّثًا بالورقة، كما يَتَشَبَّث الرضيعُ بثدي أُمِّه».[١٣]

إن الشعر «في رُؤيَا نِزَار اغتصاب العالَم باللغة، وشَكْل مِنْ أَشْكَال الثورة على كُلِّ عناوين الطاعة والانضباط؛ لأنَّ للقصيدة وظيفة تحريضيَّة ... فهي تُخَلْخِلُ العلاقات القائمة بين الإنسان والكون، وتُمَثِّلُ دَعْوة مفتوحة لفضح العُذْرِيَّة الوهميَّة للمجتمعات، وإطلاق الرصاص الحيّ على التخلُّف والخُرَافَة والأوثان ... إنها خطاب مُتَّجِه إلى المستقبل، وليست طلقة فاسدة في جيب قَنَّاص مُتَأَهِّب للانقضاض على نفسه».[١٤]

إِنَّ شِعْرَهُ «شِعْر الإيجاب، شِعْر الإصرار، شعر تمجيد كُلّ مَا هُوَ حُرّ، فيه فاكهة بِكْر تُجْنَى كُلّ يَومٍ ... والمعجزة في كُلِّ ذلك هي أن يلتصق الشاعر بعصره ومكانه؛ فيتجاوزهما، ويبقى صوت اليوم هو صوت الغد وبعد الغد، ويكون الشعر والعشق صِنْوَينِ في اتحاد الشعر بالكون، وتغدو زمانيَّة التجربة خارجة على الزمان نفسه».[١٥]

وقد شُغِفَ –مُنْذُ طُفُولَتِهِ– بكسر المعايير السائدة، والخروج عن المألوف، وكان دائم التساؤل، والبحث عن أصل الأشياء؛ بُغْيَةَ اكتشاف المجهول.[١٦]

ثَانِيًا: المَرْأَةُ فِي حَيَاةِ نِزَار قَبَّانِي وَشِعْرِه:

قد يكون الدافع الذي جَعَلَ نِزَار قَبَّانِي يَذْكُرُ النِّسَاءَ في شعره ذي الطابع السياسيّ هو رغبته في عدم التَّخَلِّي عن أسلوبه الغَزَلِيّ، الذي أجاده، وعُرِفَ به، وَأَحَبَّهُ جُمْهُورَهُ؛ فَنَرَاهُ يُلِحُّ عَلَى ذِكْرِ النِّسَاء فِي قَصَائِدِهِ السِّيَاسِيَّة كُلَّمَا سَنَحَتِ الفُرْصَة.

فَقَدْ ارْتَبَطَ شِعْرُهُ بِالمَرْأَة وَجَسَدِهَا المُثِير؛ لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَيها عَلَى أَنَّهَا قَضِيَّة وُجُودِيَّة تُعَبِّرُ عَنِ النَّفْسِ الإِنْسَانِيَّة، ومُشْكِلَة الكَون الذي نَحْيَا فِيهِ، وَأَيًّا كَانَ المَوضُوع الذي يَتَنَاوَله الشَّاعِر فَلا إِثْمَ عَلَيهِ؛ لأَنَّ الفَنَّانَ -بِصِفَة عَامَّة- لَهُ مُطْلَق الحُرِّيَة فِي القَضِيَّة التي يَنْظُرُ إِلَى الكَونِ مِنْ زَاوِيَتِهَا، وَالشِّعْرُ يُحِيطُ بِالوُجُودِ كُلِّهِ، وَيَنْطَلِقُ فِي كُلِّ الاتِّجَاهَاتِ، ويَتَنَاوَل المُتَرَف والمُبْتَذَل والرَّفِيع والوَضِيع.[١٧]

لقد أكثر نِزَار مِنَ الحديث عن الحب؛ «حَتَّى سَمَّاهُ بعضهم (شَاعِر الحُبّ)، وسَمَّاهُ آخرون (شاعر المرأة)، أو غير ذلك مِنْ تسميات، وكان بعضهم يَرَى أَنَّهُ يَرْسِمُ بهذه التسميات المَعْلَم الذي يُمَيِّزُ الاتجاه الشعريّ عنده».[١٨]

يُوَضِّحُ نِزَار قَبَّانِي أنه اختار المرأة موضوعًا لِفَنِّهِ، وهو -في تفسيره لهذا الاختيار- يقترب مِنْ رُؤيَة أَفْلاطُون (Plato) (٤٢٨- ٣٤٧ ق.م)؛ فالذي يُحِبُّ المَرْأَة يُحِبُّ وَطَنًا، والذي يُحِبُّ وَطَنًا جَمِيلاً يُحِبُّ العَالَم، ويُصَرِّحُ بِأَنَّهُ فِي كِتَابَاتِهِ يَشْعُرُ أَنَّهُ وَقَعَ مُعَاهَدَة أَبَدِيَّة مَعَ جَسَدِ المَرْأَة؛[١٩] لقد اهتمَّ بالجانب الحِسّي للمرأة؛ وصار شاعر المرأة بِكُلِّ ما تحتويه الكلمة من بُعْد حَضَارِي وَإِنْسَانِيّ، وعِنْدَ ذِكْرِهِ لِمَا يُعَانِيهِ مِنْ مَتَاعِبٍ فِي الحَيَاة، يذكر صُوَرَ الاسْتِبْدَاد التي يُعَانِي مِنْهَا، فيتحدث عن الشُّرْطَة وَالوَطَن وَالهِجْرَة وَالصُّحُف، ولا يَنْسَى المَرْأَة؛ حَتَّى فِي سَرْدِهِ لِصُوَرِ المُعَانَاة؛ فهو يُدْخِلُ المَرْأَةَ فِي جَمِيعِ أَشْعَارِهِ، سَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا الشِّعْرُ غَزَلِيًّا أَم سِيَاسِيًّا؛ فَإِنَّ لها في شِعْرِهِ حضورًا بارزًا؛ فقد دخل خِدْر المرأة، وتَفَرَّغَ خمسينَ عامًا لمدح النساء، وكتابة تاريخهنَّ؛ لأَنَّهُ يَرَى في المرأة مخلوقًا رقيقًا، يذوب أمام العاطفة، ومن أهم إنجازاته أنه حَذَفَ اسم المرأة مِنْ قَائِمَة الطَّعَام الذي يُلْتَهَم، وأدرجه في قائمة الأزهار، وحَذَفَ اسْمَهَا مِنْ قائمة العَقَارَات، ودَسَّهُ فِي قَائِمَة الكُتُب التي تُقْرَأ، وحَذَف جسدها مِنْ قائمة الخِرَاف التي تُذْبَح، وفك الرَّهْن التَّارِيخيّ على نَهْدَيهَا؛[٢٠] فَإِنَّ مِهْنَتَهُ «أَنْ يَجْمَعَ النِّسَاءَ فِي قَارُورَة».[٢١]

يقول عن نفسه: «إنني إنسان مَلُول، غير أنّي أعتقدُ أَنَّ المَلَل الفَنّيّ ظاهرة صِحّيَّة، ومرغوب فيها؛ لأنَّها تُنْقِذُ الفنانَ مِنْ تَكْرَار نَفْسِه، ومِنْ تَرَاكُم الصَّدَأ على دَفَاتِرِه»[٢٢]

وهو عندما «يَكْتُبُ عن امرأة مُعَيَّنَة؛ فهو يَكْتُبُ –في الوقت نفسه– عن كُلّ نِسَاءِ العَالَمِ»[٢٣]يقول: «أنا مع المرأة بَحَّارٌ، لا يهتمُ بالمرافئ التي لاحت، قدر اهتمامي بالمرافئ التي لم تَلُحْ بَعْد»[٢٤]لأنَّ المرأة «أوسع البِحَار، وأعمقها، وأخطرها»[٢٥]وهي «ليست الوجه الثاني للقمر، ولكنها القمر»[٢٦]فإنَّ وجهها «لغة، جسدها لغة، ضحكتها لغة، استدارة نَهْدها لغة»[٢٧]

ولو نظر إليها الرَّجُل بوصفها وَرْدة فَازَ بِعِطْرِهَا، وإذا تعامل معها بوصفها ذبيحة يَنْهَشُهَا، ويَذْبَحُهَا مِنَ الوَرِيد إِلَى الوَرِيد، سَالَ دَمُهَا على ثيابه[٢٨]

ويتحدث عن الأثر العميق الذي تُحْدِثُهُ المَرْأَة فِي الرَّجُل؛ فيقول: «وقد تفعل امرأةٌ واحدةٌ في رَجُل، ما لا تفعله الزلازل في قِشْرَة الكُرَة الأرضيَّة»[٢٩]وغَيرُ خَافٍ أَنَّهُ «قد ينتقل الرجل من امرأةٍ إلى ثانية إلى عاشرة، ولا يجد المرأة الحقيقية التي انتظرها مُنْذُ وِلادَتُهُ»:[٣٠]

يقول: تَعَلَّمْتُ أن المرأة «هي التي تَتْرُكُ شَرْخًا وارتجاجًا في قِشْرَة دِمَاغِي، هي التي تُحْدِثُ خَلْخَلَةً في إيقاع أيامي، وفي نِظَامِ الأشياء مِنْ حولي، هي التي تُلْغِي حركة الزمن، وتربطني بزمنها هي»[٣١]فَإِنَّ «كُلَّ شعر كُتِبَ، أو يُكْتَب مُرْتَبِط بِالمَرْأة، كما الجَنِين بِحَبْلِ المَشِيمَة، وأيّ مُحَاوَلَة لِفَكِّ الارتباط بينهمَا يَقْتُلُ الطِّفْل والأُمّ معًا»[٣٢]

ثَالِثًا: شِعْرُ نِزَار قَبَّانِي السِّيَاسِيّ:

نلاحظ في قصائد نِزَار قَبَّانِي السياسيَّة أَنَّ صُوَرَهُ الشِّعْرِيَّة تمتزج «بالتهكُّم اللفظيّ، وتنزع إلى العُدْوَانِيَّة المُسْتَتِرَة بالسُّخْرِيَة، وتَحْفُلُ بالصُّوَر المُبْكِيَة والمُضْحِكَة في آنٍ واحد»[٣٣]وهو يرى أنَّ الشِّعْرَ يُولَد «مع الثورة، وفي الثورة، وكل ثورة تَطْمَحُ إلى تغيير العالَم، لا بُدَّ من أن تَتَحَالَف مع الشعر، وتُخَطِّطُ مَعَهُ لِرَسْمِ مُسْتَقْبَل الإنسان»[٣٤]فَإِنَّ الكِتَابة –على حَدِّ تَعْبِيرِهِ- عَمَلٌ انقلابيّ، يقول: «الشعر الحقيقيّ عَمَلِيَّة انقلابيَّة يُخَطِّطُ لها ويُنَفِّذُهَا إنسانٌ غاضب، ويُرِيدُ مِنْ وَرَائِهَا تغيير صُورَة الكَون، ولا قيمة لشعر، لا يُحْدِثُ ارتجاجًا في قِشْرة الكُرَة الأَرْضِيَّة، لا يُحْدِثُ تَغْيِيرًا في خَرِيطة الدنيا، وخريطة الإنسان؛ إنني لا أفهمُ الشعر إلا مِنْ جِهَة كونه حركة، حركة مستمرة في سُكُون اللغة، وفي سُكُون الكُتُب، وفي سُكُون العلاقات التاريخيَّة بين الأشياء»[٣٥]

إِنَّهُ رَجُلٌ ضِدّ جميع السلطات[٣٦]يقول: «هذا عصر الزنا بالكلمات، والحاكم العربيّ لا يريد الكلمة رفيقة، أو شريكة، أو زوجة له، وإنما يريدها خادمة تَغْسِلُ له أصابع قَدَمَيهِ بِمَاءِ الوَرْدِ والزَّعْفَرَان، وجارية يَقْطِفُ ثِمَارَ نَهْدَيهَا فِي اللَّيل»[٣٧]

إِنَّ الشِّعْرَ -مِنْ وِجْهَة نَظَر نِزَار- «عَمَلٌ مِنْ أعمال المُعَارَضَة لا المُوَالاة، ومِنْ أعمال الرَّفْض لا القَبُول ... إِنَّهُ بَرْقِيَّة عنيفة وحارقة يُرْسِلُهَا الشَّاعِرُ إلى العالَم»[٣٨]فَإِنَّهُ «لا قيمة لقصيدة لا تُشْعِلُ الحرائقَ في الوِجْدَان العَام»[٣٩]والشعر يَعْنِي «إشعال عُود ثِقَاب في أشجار الغابة اليابسة، الغابة تَصِيرُ أَجْمَل عِنْدَمَا تَشْتَعِل، عندما يَتَحَوَّل كُلّ غُصْن مِنْ أغصانِهَا شَمْعِدَان»:[٤٠]

يقول: «لم يبقَ بعد حزيران للشاعر سوى حِصَانٍ واحدٍ يمتطيه هو الغَضَب»[٤١]فَإِنَّ وَظِيفَة الشِّعْر «أَنْ يَقْتُلَ الوَحْش الذي استوطن كُلَّ مدينة عربيَّة ... وما زال يَأْكُلُ أطفالها، ويُسْبِي نساءها، ويملأ بالرعْب لَيَالِيها»[٤٢]إن قصيدة (هوامش على دفتر النكسة) -التي أَرَّخَ كتابتها بعام ١٩٩١م، ورَفَضَ فيها الواقع المأساويّ للعالَم العربيّ وشُعُوبه المُتَخَاذِلَة، وهَاجَمَ التَّقَالِيد البَالِيَة في المجتمعات الشرقيَّة، وانتقد الحُكَّام الغارقينَ في المَلَذَّات[٤٣] ما هي إلا «محاولة لاصطياد الوَحْش الكَبِير، وقَصّ أنيابه، قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِسَ كُلَّ شَيء»[٤٤]فقد أَثَارَتْ، كما يقول نِزَار، «الكثير من الغَضَب والاستياء،

كما انتشرت بين الجماهير انتشارًا سريعًا يَفُوق التَّصَوُّر. ومن الاتهامات التي رُمِيَ بها الشاعر مِنْ جَرَّاء تلك القصيدة أنه المسؤول الأول عن هزيمة حزيران لِمَا كَانَ يُرَوِّجُهُ من شعر جنسيّ مُنْحَل، وأنه في هذه القصيدة إنما كان يمارس الساديَّة في تعذيب أُمَّتِهِ والرَّقْص فوق جِرَاحِهَا، وأنه عميل يَخْدِمُ العَدُوّ في تثبيط الهِمَم والقَضَاء على كُلّ أَمَل، وأنه شاعر فُحْش لا يَجُوزُ له التَّشَدُّق أو التحدُّث باسم الوطنيَّة»[٤٥]

وهو يرى أَنَّ «رَبْطَ الأُنُوثَة بالعَيب والعَار جعلنا مجتمعًا محرومًا مِنَ الطُّمَأْنِينَة، ينام والسِّكِّينَة تحت وِسَادَته، والمجتمعات التي تُصْبِحُ فيها جغرافيَّة النَّهْد أهمّ مِنْ جُغْرَافِيَّة الأرض، واقتطاع خَصْلَة مِنْ شَعْر المرأة أخطر من اقتطاع إقليم مِنْ أقاليم الوطن، هي مجتمعات مأزومة، تُفَكِّرُ بجزئها الأسفل»[٤٦]ولا شَكَّ فِي أَنَّ الوَطَنَ «مَسْرَحٌ بشريّ كبير، يضحك الناس فيه، ويبكون، ويَضْجَرُون، ويتشاجرون، ويعشقون، ويُمَارِسُونَ الجِنْس»[٤٧]

لم يكن نِزَار قَبَّاني «مُنْضَوِيًا تحت لِوَاء جماعة أدبيَّة أو ثقافيَّة بمنابرها المختلفة التي كانت تَسُودُ المَرْحَلَة، وتَسِمَها بطابعها وتكوينها وممارساتها الإبداعية والتنظيريَّة، فَضَّلَ أن يكون ... مُتَحَصِّنًا بِإِنْجَازَاتِه و"جماهيره" ... التي وَجَدَتْ في بساطته الماكرة غَالِبًا وشفافيته الغنائيَّة، والفضائحيَّة، التعبير الأوفى عن نزوعاتها وهواجسها السياسيَّة والجنسيَّة المطمورة في ظِلّ أُخْطُبُوط المُؤَسَّسَات القامعة»[٤٨]

إِنَّ الشِّعْرَ بعد حزيران «هُجُوم على الموت في حُجْرَةِ نَومِهِ، وكُلّ كتابة عربيَّة معاصرة لا ترتفع إلى مرتبة إطلاق النار، تَتَحَوَّل نقش هيروغليفيّ على قبر فرعونيّ قديم»[٤٩]لذا يَجِب أَنْ «يَتَجَاوَزَ الكَاتِبُ الارتباط بالسُّلْطَة إلى الارتباط بالإنسان، وأن يرى النِّظَامُ ما هو أبعد مِنَ السُّلْطَة وَأَبْقَى وَأَغْنَى ألا وهو الإنسان»؛[٥٠]ومِنْ أَجْلِ ذَلِكَ طَالَبَ نِزَار الجَمَاهِير بالثورة على العادات والتقاليد، والأصنام، والواقع المَرِير، والحاكِم والطَّاغُوت، وتغيير الواقع[٥١].

يقول: «إِنَّ شِعْرِي السِّيَاسِيّ عَلَّقَنِي عَلَى أَكْثَرِ مِنْ صليب وأكثر مِنْ حَبْلِ مَشْنَقَة، إِنَّ نصف الأنظمة العربيَّة تقف من شعري السياسيّ موقف العَدَاء والرَّفْض، وتَمْنَعُ كُتُبِي من دُخُولِ أراضيها ... إِنَّ الشَّاعِرَ الحقيقيّ هو الذي يُذْبَح بِسَيفِ كَلِمَاتِهِ كما فعل سقراط والحَلاَّج، إِنَّنِي شَاعِرٌ اختار دائمًا المَسِير على حَدِّ الخنجر»[٥٢]

ويقول: «كان تفكير أبي الثوري يُعْجِبُنِي، وكُنْتُ أُعِدُّهُ نَمُوذجًا رائعًا للرَّجُل الذي يَرْفُضُ الأشياء المُسَلَّم بها، ويُفَكِّر بأسلوبه الخاصّ، إِضَافَةً إلى شَبَهِي الكَبِير له بالملامح الخارجيَّة؛ فقد كان شَبَهِي له بالملامح النفسيَّة أكبر»[٥٣]«وإذا كان كُلّ طِفْل يبحث خلال مرحلة طفولته عن فَارِس، ونموذج، وبطل؛ فقد كان أبي فَارِسِي وبَطَلِي، ومنه تَعَلَّمْتُ سرقة النار»[٥٤]ولكني «لم أسرق نار السماء كبروميثيوس؛ لأَنَّ السماءَ لم تكن تَهُمُّنِي؛ كانت نَارُ الأَرْضِ هي مطلبي، وإشعال الحرائق في وِجْدَان الناس وفي ثيابهم هو هاجسي»[٥٥]لأنني «منذ طُفُولَتِي، كُنْتُ أجد مُتْعَةً كُبْرَى في التصادُم مع التاريخ والخُرَافَة»[٥٦]

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: أَسْبَابُ النَّزْعَةِ الجِنْسِيَّة فِي شِعْرِ نِزَار قَبَّانِي السِّيَاسِيّ:

وَضَعَ نِزَار قَبَّانِي فِي مُقَدِّمة دِيوان (قصائد) قول هيربرت ماركوزه: «الجنس ثورة، والدافع الجنسيّ هو أهم دافع ثورة في الإنسان، والإنسان الذي لا يشتهي، إنسان غير قادر على الثورة»[٥٧]

وهذا ما جعل كثيرين يُجْمِعُونَ على تصنيف شعر نِزَار تصنيفًا جنسيًّا، ولعلَّ هذا ما أراده نِزَار قَبَّانِي نفسه من النُّقَّاد؛ بُغْيَة الشُّهْرَة السَّرِيعَة؛ فهو «شاعر الممنوعات والمُحَرَّم الجنسيّ، وقصيدته تقتحم التابو (taboo) الاجتماعيّ والبلاغيّ بقُوَّة»[٥٨]

إن نِزَار قَبَّانِي العاشق هو نفسه نِزَار قَبَّانِي الثائر؛ فهو ثائرٌ في حُبِّه، وفي فِكْرِه، ويمارس خُصُوصِيَّة الحُبّ مع معشوقته بمنتهى الثورة، وقد هَاجَمَ المَحَاكِم العُرْفِيَّة التي تُحَاكِم أَهْلَ العِشْق، ورَفَضَ جَلْدَ النِّسَاء بالميادين بتُهَمَة

التَّلَبُّس بممارسة العاطفة، وثَارَ ضِدّ سحل البشر مِنْ أَجْلِ امْتِهَان الحُبّ، ورَفَضَ كُلَّ وَسَائِلِ القَمْعِ ضِدَّ الفُحُولة والرُّجُولة، ومَارَس سُلْطَة الحَاكِم المُسْتَبِدّ مع المناطق المُحَرَّمة من أجساد بنات حَوَّاء، أي أَنَّ نِزَار أَصْبَح قائدًا عَسْكَرِيًّا، يُمَارِسُ سَطْوَتَهُ وقِيَادَتَهُ مِنْ مدينة النِّسَاء والشِّعْر.[٥٩]

وشِعْرُهُ «مُتَعَلِّق بغريزته الإنسانيَّة –الجنس- سِرّ البَقَاء والوُجُود لهذه السُّلالَة البشريَّة على وجه الأرض؛ لذلك لا غَضَاضَةَ أَنْ نَرَاهُ يُعَبِّرُ عنه -صراحةً- في احتياجه إلى الآخر؛ كي يُشْبِعَ جُوعًا فِيهِ مُنْذُ البَدْء».[٦٠]

أَوَّلاً: المُؤَثِّرَاتُ الاجْتِمَاعِيَّةُ:

إِنَّ الدَّارَ الدِّمَشْقِيَّة التي سَكَنَهَا نِزَار قَبَّانِي في طفولته لها أَثَرٌ عَمِيق في بناء نفسيته، وتفتُّح مواهبه الفَذَّة من شعر وكتابة ورسم وموسيقى، وقد وَصَفَ مَنْزِلَهُ وكأنه حَدِيقَةٌ غَنَّاء، كُلّ مَا فِيهَا يَشْدُو بِأَلْحَانٍ بَدِيعَة.

ومِمَّا أَثَّرَ فيه أيضًا انتحار أخته وِصَال في سبيل الحب؛ فقد قَتَلَتْ نفسها؛ لأَنَّها لم تستطع أن تتزوجَ حبيبها؛ مِمَّا جَعَلَهُ يَهَبُ شِعْرَ الحُبِّ أجمل كلماته؛ تعويضًا لِمَا حُرِمَتْ منه أخته؛ وانتقامًا لها مِنْ مُجْتَمَع يَرْفُضُ الحُبَّ ويُطَارِدُهُ بِالفُؤُوس والبنادق؛ «فإذا كانت أخته قد حُرِمَتْ من الحُبّ بسبب المجتمع؛ فَلْيُغْرِق هو هذا المجتمع بالحُبّ»،[٦١] يقول: «حين مَشَيتُ فِي جِنَازَة أُخْتِي، كان الحُبّ يمشي إلى جانبي في الجِنَازة، ويَشُدُّ على ذراعي ويبكي».[٦٢]

أ) تَعَلُّقُهُ الزَّائِدُ بِأُمِّهِ:

يَقُولُ نِزَار عَنْ أُمِّهِ، والسياق الثقافي السائد في المُجْتَمَع آنذاك: «كانت مشغولة في عبادتها وصومها وسجادة صلاتها ... تُقَدِّمُ النُّذُورَ للأولياء، وتَطْبُخُ الحُبُوب في عَاشُورَاء، وتمتنع عن زيارة المَرْضَى يَومَ الأَرْبِعَاء، وعَن الغَسِيل يَومَ الاثْنَين، وتنهانا عَنْ قَصِّ أظافرنا إذا هَبَطَ الليل».[٦٣]

ويصف حنانها الزائد عليه؛ فيقول: «كانت يَنْبُوعَ عَاطِفَة، يُعْطِي بغير حساب، وكانت تَعُدُّنِي وَلَدَهَا المُفَضَّل، وتَخُصُّنِي دُونَ سَائِرِ إخوتي بالطيِّبَات، وتُلَبِّي مَطَالِبِي الطُّفُولِيَّة بلا شَكْوَى، ولا تَذَمُّر، ولقد كَبِرْتُ، وظَلَلْتُ فِي عَينَيها -دَائِمًا- طفلها الصغير القاصر، ظَلَّتْ تُرْضِعُنِي حَتَّى سِنّ السَّابِعَة، وتُطْعِمُنِي بيدها حَتَّى الثالثة عشرة»،[٦٤] «وسافرتُ -بعد ذلك- إلى جميع قارات الدنيا، وظَلَّتْ مشغولةَ البَالِ عَلَى طَعَامِي وشَرَابِي ونَظَافَة سَرِيرِي، وتسأل كُلَّمَا جَلَسَت الأسرة على مائدة الطعام في دِمَشْق: تُرَى هل يجد (الولد) في بلاد الغُرْبَة مَنْ يُطْعِمُه؟ ... وكثيرًا ما طَارَتْ طُرُود الأطعمة الدِّمَشْقِيَّة إلى السفارات التي كُنْتُ أَعْمَلُ بها؛ لأَنَّ أُمِّي لم تَكُنْ تُصَدِّقُ أَنَّ هُنَاكَ شيئًا يُؤْكَل خارج مدينة دِمَشْق».[٦٥]

إِنَّ تَعَلُّقَهُ الشديد بأُمِّهِ تَرَتَّبَ عليه النزعة الجِنْسِيَّة، التي ظهرت في كُلِّ أغراضه الشعريَّة؛ حَتَّى السياسيَّة؛ فالأُمّ «تَجْلِس أَمَامَ سَرِيرِ ابنها، تَغْمُرُ خَدَّيه بالقُبُلات، وتُطْعِمُهُ حلاوة اللوز والسُّكَّر»،[٦٦] مِمَّا كان له عظيم الأثر في تكوينه النفسيّ، وسُلُوكِه الاجتماعيّ فيما تَبِعَ ذلك مِنْ أَدْوَارِ عُمْرِهِ.

نزار يريد امْرَأَةً تَضُمُّهُ بَيْنَ نَهْدَيهَا، ويرى أن فشله في كثير من علاقاته العاطفيَّة يعود، بالدرجة الأولى، إلى رَفْض المَرْأة المَحْبُوبة أن تَجْمَعَ بين الأُم والحَبِيبة في آنٍ وَاحِد.[٦٧]

لقد كانت زوجته بلقيس الراوي –باعتراف نِزَار نفسه– تَعُدُّه الطفل الثالث في البيت بعد زينب وعمر؛ لِذَا استحوذت على قلبه، يقول في قصيدة (مَوَاوِيل دِمَشْقِيَّة إِلَى قَمَر بَغْدَاد):

حَمَلَتْ لِي جَرَائِد اليَوم وَالشَّاي

وَفَاضَتْ أُمُومَةً وَابْتِسَاما[٦٨]

عِنْدَما فَاضَتْ زَوجته أُمُومَةً نَالَتْ حُبَّه الكَبِير، وَمَلَكَتْ فُؤَادَهُ.

يقول في قصيدة (مَنْشُورَات فِدَائِيَّة عَلَى جُدْرَان إِسْرَائِيل):

أَطْلُعُ مِنْ صَوتِ أَبِي ..

مِنْ وَجْهِ أُمِّي الطَّيِّبِ الجَذَّابْ[٦٩]

إِنَّهُ دَائِم التَّذَكُّر لِوَالِدته، وصُورَتها فِي ذِهْنِه وَفِكْره؛ لَذَا نَرَاهُ كَثِيرَ الحَدِيثِ عنها.

يقول في قصيدة (مذكرات أندلسيَّة):

حُجْرَةٍ شَرْقِيَّةٍ ..

كَانَتْ أُمِّي تَنْصِبُ فِيهَا سَرِيرِي ..[٧٠]

يَتَذَكَّر الحُجْرَة الشَّرْقِيَّة التِي كَانَ يَنَامُ فِيهَا صَغِيرًا بَعْدَ أَنْ تَنْصِبَ أُمُّه فِيهَا السَّرِيرِ.

يقول في قصيدة (غَرْنَاطَة):

وَرَأَيتُ مَنْزِلنا القَدِيم .. وَحُجْرَة

كَانَتْ بِهَا أُمِّي تَمُدُّ وِسَادِي ..[٧١]

يَحِنُّ إِلَى مَنْزِلِه القَدِيم فِي دِمَشق، وَالحُجْرَة التِي كَانَت أُمُّه تَمُدُّ بِهَا وِسَادَته؛ كَي يَنَامَ عَلَيها.

يقول في قصيدة (القصيدة تُولَد مِنْ أَصَابِعِهَا):

حليب أُمِّي .. كان حِبْرًا أبيضًا

وثديها عَلَّمَنِي صِنَاعَة الفخار.[٧٢]

لقد تَعَلَّمَ مِنْ ثَدْي أُمِّه، الذي مَصَّ مِنْهُ لَبَنًا أَبْيض، صِنَاعَة الفخار، أي صناعة النَّهْد ورسمه.

يُوَجِّهُ سؤالاً لامرأة في عنوان إحدى قصائده: (هل تَقْبَلِينَ أَن تَكُونِي أُمِّي؟)، ويقول في ختام هذه القصيدة:

عندما يأتي أيلول

أَشْعُرُ برغبة قَوِيَّة

للعودة جَنِينًا إِلَى رَحِمِ أُمُومَتِك ..

...

أَشْعُرُ بِرَغْبَة طُفُولِيَّة قَاهِرَة ..

للاختفاءِ فِي تَجْوِيف يَدَيكِ الصَّغِيرَتَين ..

وتَمْزِيق كُلّ الجَوَازَات المُزَوَّرَة التِي أَحْمِلُهَا ..

والعودة إلى أصلي ..[٧٣]

ويقول في قصيدة (لِمَاذَا يَسْقُطُ مُتْعِبُ بْن تَعْبَانْ فِي امْتِحَان حُقُوق الإِنْسَانْ؟):

مُرَاقبون نَحْنُ فِي المَقْهَى .. وَفِي البَيتِ ..

وَفِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِنَا ..[٧٤]

يتحدث عن (رَحِم الأُمّ)، ذلك المكان الذي يَرْقُدُ فِيهِ الجَنِينُ آمِنًا، ولكنه -في الوقت نفسه- مُرَاقَبٌ مَعْدُود الأَنْفَاس، وتَتَمَلَّكُهُ دَائِمًا رَغْبَة طُفُولِيَّة قَاهِرة؛ لِذَا يَتَمَنَّى أَنْ يَعُودَ جَنِينًا، «أليس الرَّحِم هُو فِرْدَوس الإِنْسَان المَفْقُود؟!»[٧٥]

ويقول في قصيدة (فاطمة في هايد بارك):

حَاوِلِي أَنْ تُصْبِحِي أُمِّي

لِشَهْرٍ .. أَو لِيَومٍ .. أَو لِبَعْضِ اللحظات

...

حَاوِلِي .. أَنْ تَلِدِينِي مَرَّة أُخْرَى

أَيَا أَجْمَل كُلّ الأُمَّهات

مَا الذِي يُمْكِنُ أَنْ أَفْعله من غير أُمّ ؟

فِي مَحَطَّات الشَّتَات ؟؟. [٧٦]

إنه يَطْلُبُ مِنْ حَبِيبَتِهِ –كَعَادَتِهِ– أَنْ تُصْبِحَ أُمَّهُ، وَتَلِدَهُ مَرَّة أُخْرى؛ فَإِنَّهُ فِي مَحَطَّةِ الشَّتَات لا يَتَمَكَّن مِنْ فِعْلِ أَيّ شَيءٍ مِنْ غَيرِ أُمِّهِ.

يقول في قصيدة (سأدرس حَتَّى أُحِبُّك .. عشر لغات ..):

وَأَشْعُرُ فِي لَحَظَاتِ الحَنَانِ المُفَاجِئ

أَنَّكِ أُمِّي .. [٧٧]

عِنْدَمَا تَغْمُرُهُ الحَبِيبَة بِدَفَقَاتٍ مِنَ الحَنَانِ المُفَاجِئ، غَيرِ المُعْتَاد، يَشْعُرُ –فِي تِلْكَ اللَّحْظَة– أَنَّهَا أُمّه.

يقول في قصيدة (عَادَات):

وَفِي حَالَةِ العِشْقِ ..

يُصْبِحُ ثَوبُ الحَبِيبَةِ بَيتًا ..

وَيُصْبِحُ أُمًّا .. [٧٨]

تُصْبِحُ الحَبِيبةُ أُمًّا فِي حَالَةِ العِشْق حِينَمَا يَذُوبُ كُلٌّ مِنَ الحَبِيبَيْنِ فِي الآخَر؛ فَإِنَّ أَقْصَى دَرَجَاتِ العِشْقِ –عِنْدَهُ– أَنْ تَصِيرَ الحَبِيبَةُ أُمًّا. يقول في القصيدة نفسها:

تَعَوَّدْتُ أَنْ أَتَغَطَّى بِرِيشِ حَنَانِك

خَمْسِينَ عَامًا ..

ومُنْذُ سَحَبْتِ غِطَاءَ الأُمومة عَنِّي

نَسِيتُ الرُّقَاد .. [٧٩]

لقد اعْتَادَ عَلَى فَيضِ حَنَانِ أُمِّه، وَظَلَّ مُتَمَتِّعًا بِهِ خَمْسِينَ عَامًا، وَبَعْدَ أَنْ سَحَبَتْ عَنْهُ غِطَاء الأُمُومَة نَسِي الرُّقَادَ تمامًا.

يقول في قصيدة (مَائِيَّات):

دَعِينِي أَنَامُ عَلَى كتفيك قَلِيلاً

فَإِنِّي أُحِسُّ بِأَنَّكِ أُمِّي [٨٠]

يُخَاطِبُ حَبِيبَتَهُ وَيَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَتْرُكَهُ يَنَامُ قَلِيلاً عَلَى كَتِفَيهَا، وَمَا طَلَبَ مِنْهَا ذَلِكَ إِلاَّ عِنْدَمَا شَعَرَ بِأَنَّهَا تُشْبِهُ أُمَّهُ فِي الرِّقَّة وَالحَنَان.

وهو يَطْلُب مِن المَرْأة التي يريد منها أن تكون حبيبته أن تَكُونَ أُمّه، يقول: «لا أريدكم أن تتصوروا أنني مُصَاب بعقدة أُوديب، وأَنَّ نَزْعَةَ العِشْقِ بي تَتَّجِهُ غريزيًّا نَحو أُمِّي، هذا غير وارد، ولكنني أريدُ أَنْ أَقُولَ إِنَّنِي أعيش بحالة طُفُولَة مُسْتَمِرَّة، في سُلُوكِي، وفي تصرفاتي، وفي كتابتي، الطُّفُولة هي المِفْتَاح إلى شخصيتي، وإلى أدبي، وكل محاولة لفهمي خارج دائرة الطُّفُولة، محاولة فاشلة؛ إِنَّنِي أُحِبُّ بِكُلِّ حَمَاسَةِ الأَطْفَال، ونَزَقِهِم، وعُنْفِهِم، وبَرَاءَتِهِم، ومَطَالِبِي هي نفس مطالبهم؛ إنني أَطْلُبُ الرعاية، والحماية، والاهتمام»[٨١]«إِنَّهَا شُرُوطٌ طُفُولِيَّة، كما تَرَون، ولكن يبدو أَنَّ القَلِيلات مِنَ النِّسَاءِ

يَسْتَطِعْنَ احتمال الأطفال والصَّبْر عليهم»[٨٢]ومعلومٌ أَنَّ الأَطْفَالَ -بِدَورِهِمْ- «لا يمنحون حُبَّهُم، إلا لِمَنْ يَفْهَمُونَ طفولتهم، ويملأون أيديهم بهدايا غير مُنْتَظَرَة».[٨٣]

لذا انْتَقَلَ نِزَار من امرأةٍ إلى أُخْرَى؛ فَإِنَّ الحُبَّ عنده سَفَرٌ طويل على جَسَدِ المَرْأة، التي تُمَثِّلُ وليمةً على سَرِيرِ الحُبّ؛ لأنه لم يَعْثُرْ على المرأة التي تُعَامِلُهُ مُعَامَلَةَ الأُمّ الرءوم لطفلها؛ الذي يشتاقُ إلى حِضْنِهَا الدَّافِئ؛ فما زال حَلِيبُ الطُّفُولَةِ على شَفَتَيهِ، كما يقول، ذلك المِدَاد الذي يَكْتُبُ به شِعْره. يقول في قصيدة (التَّأْشِيرَة):

كَانَ جَوَازِي بِيَدِي
يَحْلُمُ بِالأَرْضِ التِي لَعِبْتُ فِي حُقُولِهَا
وَأَطْعَمَتْنِي قَمْحَهَا، وَلُوزَهَا، وَتِينَهَا
وَأَرْضَعَتْنِي العَافِيَهْ .. [٨٤]

يتحدث عن مدى شوقه إلى وطنه عند نقطة التفتيش في إحدى البلاد النامية، ونراه يتحدث عن (الرَّضَاعَة).

ويقول في قصيدة (الوُضُوء بِمَاءِ العِشْقِ وَاليَاسَمِين):

فَبَعْدَ شَرَاشِفِ أُمِّي المُعَطَّرَةِ بِصَابُونِ الغَارْ
لَمْ أَجِدْ سَرِيرًا أَنَامُ عَلَيه ..
وَبَعْدَ عَرُوسَةِ الزَّيتِ وَالزَّعْتَرْ..
التِي كَانَتْ تَلُفُّهَا لِي،
لَمْ تَعُدْ تُعْجِبُنِي أَيُّ عَرُوسٍ فِي الدُّنْيَا ..
وَبَعْدَ مُرَبَّى السَّفَرْجَل الذِي كَانَتْ تَصْنَعُهُ بِيَدَيهَا
لَمْ أَعُدْ مُتَحَمِّسًا لإِفْطَارِ الصَّبَاحْ
وَبَعْدَ شَرَابِ التُّوتِ الذِي كَانَتْ تَعْصِرُهُ
لَمْ يَعُدْ يُسْكِرُنِي أَيُّ نَبِيذْ ... [٨٥]

يُعَدِّدُ نِزَار الدلائل التي تُؤَكِّدُ تَعَلُّقَهُ الزائد بِأُمِّه؛ حَتَّى إِنَّهُ بَعْدَ أَنْ تَرَكَ سَرِيرَها لم يجد سريرًا مُرِيحًا يَرْقُدُ فيه آمِنًا؛ فيستغرق في النوم سريعًا، وبعد أن تَوَقَّفَتْ أُمُّهُ عن لَفِّ عَرَائِس الزَّيتِ وَالزَّعْتَرلَمْ تَعُدْ تُعْجِبُهُ أَيَّ عَرُوسٍ فِي الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا، وبَعْدَ أَنْ نَعُمَ بِمُرَبَّى السَّفَرْجَل التِي كَانَتْ تَعُدُّهَا لَهُ، وَتَصْنَعَهَا بِيَدِيهَا؛ لِيَفْطَرَ بها صَبَاحًا، لَمْ يَعُدْ يَجِدْ فِي نَفْسِه رَغْبَةً لِتَنَاوُل طَعَام الإِفْطَار، وبعد أن اعتاد على شَرَابِ التُّوتِ الذِي كَانَتْ تَعْصِرُهُ بيدها؛ فَيَجِدُ رَاحَةَ نَفْسِهِ وَذَهَابَ هَمِّهِ بَعْدَ احْتِسَائِهِ، لَمْ يَعُدْ يُسْكِرُهُ أَيُّ نَوعٍ مِنْ أَنْوَاع الخُمُور.

إِنَّ الأشياءَ بَعْدَ أَنْ تَمَسَّهَا يَدُ أُمِّهِ تتغير طبائعها؛ فتُكْسَى رِدَاءً جَذَّابًا، قَرِيبًا إلى نَفْسِهِ، ومُحَبَّبًا إلى قَلْبِه، وَبَعْدَ فِرَاقِ أُمِّهِ صَارَتَ هَذِه الأَشْيَاء خَالِيَةً مِن الرُّوَاء والجَمَال، وَرَآها بِضَاعَةً كَاسِدة لا تَرُوق.

ويَسْتَكْمِلُ وَصْفَ أُمِّهِ الطَّيِّبَة في القصيدة نفسها؛ فيقول:

إِنَّ أُمِّي امْرَأَةٌ طَيِّبَةٌ جِدًّا .. وَتُحِبُّنِي جِدًّا ..
وَعِنْدَمَا كَانَتْ تَشْتَاقُ لِي ..
كَانَتْ تُرْسِلُ لِي بَاقَةَ (طَرْخُونْ) ..
(فَالطَّرْخُونُ) عِنْدَهَا، هُو المُعَادِلُ العَاطِفِيّ
لِكَلِمَة (يَا حَبِيبِي) ...

أَو لِكَلِمَة (تُقْبُرْنِي) .. [٨٦]

يستمر في توكيد حُبِّ أُمِّهِ لَهُ؛ لدرجة أنها اشتاقت إليه، عندما سَافَرَ بَعِيدًا عنها؛ فأرسلت إليه بَقْلا طَيّبا يُطْبَخُ بِاللَّحْمِ، اعتادت أن تُطْعِمَهُ إِيَّاه، وتَعْلَمُ مِقْدَار حُبِّه لَهُ؛ لِتُؤَكِد تَذَكُّرَهَا الدائم له، وكأنها تقول له: (رَعَاكَ اللهُ يَا حَبِيبِي).

لقد كَانَتْ أُمُّهُ تَخَافُ عَلَيهِ خَوفًا شَدِيدًا؛ حَتَّى إِنَّهَا عَلَّقَتْ فِي رَقَبَتْهِ خَرَزَةً زَرْقَاء؛ لِتَقِيه عُيُونَ الحُسَّاد، وتَحْفَظَه مِنَ الأَذَى، يقول:

وَالخَرَزَةُ الزَّرْقَاءْ ..

التِي كَانَتْ تُعَلِّقُهَا أُمِّي فِي صَدْرِي. [٨٧]

ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بِأُمِّه كَثْرة ذِكْرِهِ لَهَا، يقول في قصيدة (رثاء فراشة):

وَكَانَتْ أُمِّي تُوصِينِي أَن لا أَقْرَأَ عَلَى ضَوءِ القَمَرِ ... [٨٨]

ويقول في قصيدة (تَارِيخنا لَيسَ سِوَى إِشَاعَهْ !):

وَنَحْنُ مِنْ يَومِ تَرَكْنَا

بَحْرَ بَيرُوتَ ..

تَرَكْنَا خَلْفَنَا

أَثْدَاءَ أُمَّهَاتِنَا. [٨٩]

وهو ما زال يَبْحَثُ -بِشَرَاهَةٍ ونَهَم- عن ثَدْيِ أُمِّه، ويريد مِنْ المرأة الحبيبة أن تَتَعَامَل معه بوصفه طفلاً صغيرًا، يَبْلُغُ من العُمْرِ شَهْرَيْنِ، وفوق ذلك تَمْنَحه أقلامًا مُلَوَّنة يَرْسِمُ بها، وطيارات ورق يُطَيِّرُهَا، وتُعْطِيه يَدَهَا لِيَكْتُبَ عليها، وشَعْرَها لِيَتَغَطَّى به، كما تفعل الأم الرءوم بولدها مُدَاعِبَةً:[٩٠]

ب) انْفِعَالُهُ بِهُمُومِ وَطَنِهِ الذِي عَدَّهُ حَبِيبَةً لَهُ:

عندما يُرِيدُ نِزَار قَبَّانِي أَنْ يُرْسِلَ رِسَالَةً مَا فِي قَضِيَّة سِيَاسِيَّة، تَظْهَر نزعته الجِنْسِيَّة بوضوح؛ فنراه يلجأ إلى المرأة، ويتخذها صديقةً أو حبيبةً أو معشوقة، يقول في قصيدة (قِرَاءَة ثَانِيَة لِمُقَدِّمة ابْن خَلْدَون):

هَذَا هُوَ التَّارِيخُ، يَا صَدِيقَتِي [٩١]

ويقول في القصيدة نفسها:

لا تَثِقِي , بِمَا رَوَى التَّارِيخُ , يَا صَدِيقَتِي

فَنِصْفُهُ هَلْوَسَةٌ ..

وَنِصْفُهُ خِطَابَهْ .. [٩٢]

...

صَدِيقَةَ العُمْرِ التِي ..

اقْرَأْ فِي عُيُونِهَا المَأْسَاةْ

صَدِيقَةَ العُمْرِ التِي تَقْتَسِمُ المَنْفَى مَعِي ..

وَالحُزْنَ .. وَالشَّتَاتْ ..

نَحْنُ شُعُوبٌ تَجْهَلُ الفَرَحْ [٩٣]

لا شَكَّ فِي أَنَّهُ أَجَادَ تَوظِيف نَزْعَتِهِ الجِنْسِيَّة المسيطرة عليه إجادةً فريدة مَيَّزَتْهُ مِنْ شُعَرَاء عصره، وشُعَرَاء العَرَب، وتَدُلُّ أَشْعَارُهُ على أنه لم يَتَخَلَّ عَنِ النَّزْعَة الجِنْسِيَّة، على الرغم مِنْ أَحْرَانِهِ؛ فهو يَنْظُرُ إلى قضايا الوُجُود من خلال المرأة وجسدها المُثِير، ومنها القضايا السياسيَّة، وَمِنْ ثَمَّ اصْطَبَغَ شِعْرُهُ السِّيَاسِيّ بالنَّزْعَة الجِنْسِيَّة.

لقد بَنَى شِعْرَهُ على سُهُولَة الأَلْفَاظ، وأَنَاقَة التَّرَاكِيب، والصِّدْق الفَنِّي، وتَجَلَّت في أشعاره، بصورة واضحة، النزعة الجِنْسِيَّة؛ فنجدها في معظم شعره، ولَعَلَّ ديوانَه الأول (قالت لي السمراء) خير شاهد على هذه النزعة، فضلاً عن الديوان الثاني (طُفُولَة نَهْد)، والثالث، والرابع، والعاشر، وكلّ دواوينه؛ حَتَّى شعره السياسيّ.

لقد مَزَجَ بين المرأة والسياسة، يقول: «لا تصدقوا مَنْ يَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ المَرْأَةَ شَيء، والوَطن شَيءٌ آخَر؛ فعندما يختارُ رجلٌ امرأة لِيَسْكُنَ معها، أو لِيَسْكُنَ إليها؛ فهذا يَعْنِي أَنَّهُ اختار وطنًا»[٩٤]

لقد تَغَزَّلَ «في وطنه مِثْلَمَا تَغَزَّلَ في محبوبته، بل كان الوطن طريقه إلى محبوبته حينما تَتَوَحَّد المحبوبة مع الوطن»؛[٩٥]يقول في قصيدة (مَعَ الوَطَن.. فِي زُجَاجَة بِرَانْدي):

عِنْدَمَا أَشْرَبُ الكَأْسَ الثَّانِيَهْ

أَرْسُمُ الوَطَنَ عَلَى شَكْلِ امْرَأَةٍ جَمِيلَهْ ..

وَأَشْنُقُ نَفْسِي بَيْنَ نَهْدَيْهَا ... [٩٦]

لقد جعل الوطنَ امرأةً جَمِيلة، يَعْشَقُهَا ويَهِيمُ بِهَا؛ حَتَّى إِنَّهُ –مِنْ فَرْطِ وَلِهِهِ بها– يَشْنُقُ نَفْسَهُ بَين نَهْدَيْهَا، وهو –هنا– يَمْزُجُ بَيْنَ السياسة والجنس كعادته.

إِنَّهُ يَرَى أن «الثائر الكبير لا يمكن إلا أَنْ يَكُونَ عاشقًا كبيرًا»[٩٧]«فالحُبُّ عِنَاقٌ للكَون، وعِنَاقٌ لِلإِنْسَان، والوطن قد يُصْبِحُ فِي مَرْحَلة مِن المَرَاحل عَشِيقَة أجمل من كُلّ العَشِيقَات»[٩٨]يقول: «إنني أَكْتُبُ عن المرأة، وعن القَضِيَّة العربيَّة بِحِبْرٍ واحد، وأُقَاتِلُ من أجل تحرير المرأة ... ومن أجل تحرير الأرض مِنْ حَوَافِرِ الخُيُول الإِسْرَائِيلِيَّة، أصابعي هي هي، وصوتي هو هو، وأنا موجود في عُيُون الجميلات، كما أنا موجود في فوهات البنادق»[٩٩]«فالمرأة تُلاحقني كَسَحَابة، وتَنْشُرُ ظِلالَهَا حَتَّى على شعري القوميّ والسياسيّ»:[١٠٠]

ويؤكد أن «كُلَّ شيء أصبح في حياتنا سِيَاسِيًّا، بما في ذلك الحُبّ، وعلاقتنا الحَمِيمَة بالمرأة؛ فَإِنَّهُ من الصعب - اليومَ- أَنْ تَشْرَبَ مع حبيبتك فنجان قهوة، دون أن يطفو على وجه الفنجان جسد بيروت، أو قنبلة النيوترون، بكلمة أوضح، لم يَعُدْ بإمكاننا أن نتغزل بامرأة إلا بمفردات سياسيَّة، لقد انهارت الحُدُود نهائيًّا بين الوردة والقنبلة، وأُغْنِيَة الحُبّ والمنشور السياسيّ»[١٠١]

وكانت المرأة ماثلة -دائمًا- في ذهنه ووِجْدَانِهِ؛ فخرج من مقاصير الحريم، إلى ميدان الرفض والمقاومة، وبدأ جانب الالتزام السياسيّ بقضايا أُمَّتِهِ العربيَّة وهُمُومها عام ١٩٥٤م بقصيدة (خبز وحشيش وقمر)، وتَوَطَّدَ هذا الجانب بعد نَكْسَةِ ١٩٦٧م، ومن أبرز القضايا العربيَّة التي شَغَلَتْهُ القضيَّة الفلسطينيَّة؛[١٠٢]لِذَا خَصَّصَ بَعْضَ قَصَائِدِهِ لِبُطُولَة الفدائيين، وعلى الأخصّ مُنَظَّمَة (فَتْح)، وأخذ يُشَجِّعُ ثُوَّارَ فلسطين على التقدُّم في عزيمة وإصرار لاسترداد حُرِّيَّتهم، وتَحَدَّث عن الثورة الجزائريَّة من خلال قضية جميلة بوحيرد، تلك المجاهدة الجزائريَّة التي نَكَّلَ بها الأعداء في الأسر.

واكْتَظَّ شعرُهُ السياسيّ بالرفض والمقاومة، وقد مَزَجَ بين الجَمَال الرومانسيّ والهجاء السياسيّ في شعره؛ فهو شاعر المرأة والسياسة، لقد أراد تحرير جَسَد المرأة من أشكال القَمْع والإرهاب، التي فَرَضَتْهَا نُظُم الأَخْلاق، وتَحْرِيره مِن الخوف والتسلُّط، الذي يقوم به الوَعْي الاجتماعيّ[١٠٣]

إن قصيدة (الحُبّ والبترول)، التي كتبها عام ١٩٦١م، وأظهرت نقمته على رُمُوز السُّلْطَة في الوطن العربيّ، «صورة للإقطاع العاطفيّ، وللعلاقة اللا أخلاقيَّة، التي تقوم بين رجل يستملِك بدفتر شيكاته، وامرأة تُسْتَمْلَك بسنابل شعرها الذهبيّ، وطُفُولة نَهْدَيها»؛ يقول:

مَتَى تَفْهَمْ ؟

أَيَا جَمَلاً مِنَ الصَّحْرَاءِ لَمْ يُلْجَمْ ..

...

بِأَنِّي لَنْ أَكُونَ هُنَا ..

رَمَادًا فِي سِجَارَاتَكْ

وَرَأْسًا بَيْنَ آلافِ الرُّؤُوسِ عَلَى مَخَدَّاتِكْ

وَتِمْثَالاً تَزِيدُ عَلَيهِ فِي حُمَّى مَزَادَاتِكْ ..

وَنَهْدًا فَوقَ مَرْمَرِهِ .. تُسَجِّلُ شَكْلَ بَصَمَاتِكْ ..

مَتَى تَفْهَمْ ؟ [١٠٥]

وقصيدة (حُبْلَى) «صورة عنيفة بالأسود والرَّمَادِيّ، للظُّلْمِ الوَاقِع على جسد امرأة قليلة التَجْرِبَة، سَيِّئَة الحَظِّ»[١٠٦]

ج) عِشْقُهُ لِلحُرِّيَةِ:

نِزَار قَبَّانِي شاعر يؤمن بقضية تَحَرُّر الإنسان، أينما كان، بصرف النظر عن جنسه ولونه، ويهدف إلى «تحريض الأشجار على الوُقُوف، والشمس على الشُّرُوق، والأرض على الدوران، والنَّهْد على التمرُّد، والبُرْعُم على التفتُّح، والبحر على إعلان ثورته الزرقاء، والنساء على إسقاط شهريار، والشعوب على الخروج من ثُقُوبِهَا ... من أجل أن يَطُولَ عُمْر القُبْلَة، ويَنْقَصِف عُمْر القُنْبلة»[١٠٧]

وأكثر ما يضايقه أن يرى الإنسان مُحَاصَرًا يُقَيِّدُهُ الظُّلْم ويَمْتَهِنَهُ الاستبداد، والمجتمع الذي نَشَأَ فيه «يُفَرِّقُ بين الجنسين، ويَضَعُ حَدًّا فاصلاً بينهما؛ ويُقَيِّدُ حُرِّيَة التلاقي والاجتماع، وحَتَّى حُرِّيَة التَّكَلُّم وتَبَادُل الآراء، بينما حَصَلَتْ المرأة الغربيَّة على كامل حُرِّيَتها أو ما يُقَارِبُ من ذلك»[١٠٨]

لكن يجب «ألا نُغْفِل حقيقة ناصعة وهي أَنَّ نِزَار قَبَّاني لم يَتَخَلَّف يومًا عن قيادة الطليعة في الدفاع عن الحُرِّيَات وحُقُوق الإنسان، وفي تعرية الظُّلْم والديكتاتوريَّة وكَشْف المُتَخَاذِلِينَ، وفي الدفاع عن القضايا العربيَّة، وأولها فلسطين والقدس ولبنان؛ لِيُكَرِّسَ نفسه شاعر الوطنيَّة والعروبة والمقاومة الشريفة لقهر الاحتلال الصهيونيّ الغاشم»[١٠٩]

يقول في قصيدة (تَزَوَّجْتُكِ .. أَيَّتُهَا الحُرِّيَة):

كَانَ هُنَالِكَ سَمَكٌ حَيٌّ تَحْتَ الإبْطِ،

وَثَمَّةَ رَائِحَةٌ بَحْرِيَّهْ ..

كَانَ هُنَاكَ نُهُودٌ تَقْرَعُ حَولِي ..

مِثْلَ طُبُولِ إِفْرِيقِيَّهْ ... [١١٠]

يَصِفُ أَمِيرَ العِشْقِ بَلاط النِّسَاء، الذي يَضُمُّ جميلات الدنيا، عندما كان الرجل الأوحد في التاريخ، ويَتَطَرَّقُ إلى الحديث عن شعر الإبط، ورائحته، وقرع النُّهُود، وصوتها.

ويختم القصيدة بقوله:

كَانَ هُنَالِكَ .. أَلْفُ امْرَأَةٍ فِي تَارِيخِي.

إِلاَّ أَنِّي لَمْ أَتَزَوَّجْ بَينَ نِسَاءِ العَالَمِ

إِلاَّ الحُرِّيَهْ ... [١١١]

ويقول في قصيدة (إِلاَّ الكَلِمَهْ ..):

لَيسَ هُنَالِكَ ثَدْيٌ آخَرُ قَدْ أَرْضَعَنِي

إِلاَّ الكَلِمَهْ .. [١١٢]

يَذْكُرُ الثَّدْيَ الذِي رَضَعَ منه وَمَصَّهُ حتى ارتوى؛ لإشباع حَوَاسِهِ إِشْبَاعًا تامًّا، وما هذا الثدي إلا الكلمة.

ثَانِيًا: المُؤَثِّرَاتُ النَّفْسِيَّة:

أ) الغَرَائِزُ الجِنْسِيَّةُ المَكْبُوتَةُ:

إِنَّ الرغبات الجِنْسِيَّة المكبوتة تجد طريقها -بقصدٍ أو دون قصد- إلى الشعر، وهذا ما وَضَحَ عند نِزَار قَبَّانِي؛ حيث أشبع رغباته على مستوى تخيلاته؛ فظهرت النزعة الجِنْسِيَّة في شعره السياسيّ.

ويَرْجِعُ الفَضْلُ إلى سيجموند فرويد (Sigmund Freud) (١٨٥٦- ١٩٣٩م) «الذي نَبَّهَنَا إلى أن الأطفال يَشْعُرُونَ بِاللَّذَّة كما نَشْعُرُ بها نحن، وأن بَدَنَ الطِّفْلِ به مناطق شَهَوِيَّة، يَسْتَشْعِرُ بها اللَّذَّة أكثر مِنْ مَنَاطِق أُخْرَى، غير أن اللذة التي يستشعرها الطِّفْل، وَإِنْ تَكُنْ جنسيَّة في طابعها؛ فإنها تختلف عن اللَّذَّة الجِنْسِيَّة عند الكبار، وعلى ذلك يُمَيِّزُ فرويد بين الجِنْسِيَّة الطُّفُولِيَّة (infantile sexuality)، والجِنْسِيَّة عند البالغين (adult sexuality)».[١١٣]

وينبغي الاعتراف بِأَنَّ فرويد «أحسَّ بوطأة الأنظمة الاقتصاديَّة التي تتلاعب بمصير الإنسان؛ فأراد أن يبحث عن جُذُور هذه الأنظمة، لا في تاريخ الأرض الاجتماعيَّة التي أنبتتها، وإنما في أعماق الإنسان نفسه، الذي رآه بنظرة سطحيَّة؛ فلم يكتشف فيه إلا جسدًا تَقُودُهُ غريزة صارخة بالحياة».[١١٤]

لقد جعل فرويد الرغبة الجِنْسِيَّة قُوَّة دافعة في جسم الفرد، بل عَدَّها «القُوَّة الوحيدة الصانعة للإنسان، ومصيره، ومجتمعه، وتاريخه، التي أَلْهَمَتْ وِجْدَانه بَصَمَات الفزع واليأس والقلق ... وانعكست هذه الحالة النفسيَّة الحادَّة على علاقاتهم الاجتماعيَّة؛ فتَحَوَّل الجِنْس مُخَدِّرا نجح في امتصاص هذه العواطف المُمَزَّقة».[١١٥]

ويؤكد فرويد من خلال نظرية (الكَبْت)[٦] أن ذكريات سنوات الطفولة الأُولَى، على الرغم مِنْ أَنَّ النِّسْيَان قَدْ عَفَا عَلَى الجُزْء الأَكْبَر منها؛ فإنها تؤثر في الفرد تأثيرًا لا يزول؛ حَيثُ إِنَّ خِبْرَات الطُّفُولَة مُتَعَلِّقَة بالاستثارات الجِنْسِيَّة.[١١٧]

إِنَّ مَا يَخْتَفِي مِنَ الغرائز الجِنْسِيَّة نتيجة للكبت، الذي تَطْلُبُه التربية والحضارة والثقافة، لا يخرج فقط في الفعل الجنسيّ أو النشاط الجنسيّ، بل يَخْرُج في مختلف ألوان النشاط، ومنها النشاط الفنيّ؛[١١٨] حيثُ يقومُ «الإنسانُ -بطريقة غير واعية- بإبعاد بعض الأنشطة السيكولوجيَّة، أو بعض محتويات ذِهْنه مِنْ مَنْطِقَة الشُّعُور الوَاعِي إلى منطقة اللاشعور ... فالإنسان يُنْكِرُ البواعث والدوافع والمُيُول والرغبات والذكريات التي تُثِيرُ عنده مشاعر الذنب والألم ... وعلى الرغم من أن المشاعر المكبوتة بعيدة عن حيز الشعور؛ فإنها لا تموت داخل الإنسان، وإنما تعمل بصورة نَشِطَة ... وتظهر في شكل رمزيّ، وتُعَبِّرُ عن نفسِها في كَثِير مِنْ سُلُوك الفَرْد الوَاعِي، ولكنها لا تظهر بصُورَة عَلَنِيَّة سَافِرَة، وإنما تظهر بصورة مُقَنَّعَة».[١١٩]

ونجد ذلك جليًّا عند نِزَار؛ الذي رضع من ثَدْي أُمِّه حَتَّى السنة السابعة، وذلك يُوَضِّح سبب تَعَلُّقِهِ بالثَّدْي، وذِكْره في قصائده وخاصة السياسيَّة.

ويُوَضِّحُ فرويد أنه عندما يتلاشى الموضوع الأصلي؛ مِنْ جَرَّاء الكَبْت، تُمَثِّلُهُ سِلْسِلَة من المواضيع البديلة، وهذا ما نجده عند نِزَار؛ الذي لم يحصل على الإشباع الكامل لرغباته الجِنْسِيَّة في ظِلّ الأحوال السياسيَّة المضطربة التي عاصرها؛ فكان ذلك مصدر إنجاز ثقافيّ عظيم، وهو الأعمال السياسيَّة الكاملة؛ فظهرت النزعة الجِنْسِيَّة في شعره السياسيّ؛ لأنَّ الإبداع الفنيّ صورة مِنْ صُوَر الهُرُوب من جِدِّيَّة الحياة، وتحرير الغَرَائِز المكبوتة، سواء أكانت جنسيَّة أم عُدْوَانِيَّة؛ لتخرج في صورة جميلة لا يُنْكِرُهَا المجتمع.

يقول في قصيدة (تَرْصِيع بِالذَّهَب عَلَى سَيف دِمَشْقِيّ):

هَلْ دِمَشْق كَمَا يَقُولُونَ كَانَتْ
حِينَ فِي اللَّيلِ فَكَّرَ اليَاسَمِين ؟
آه يَا شَام كَيفَ أَشْرَحُ مَا بِي
وَأَنَا فِيكِ دَائِمًا مَسْكُونُ
سَامِحِينِي إِنْ لَمْ أُكَاشِفْكِ بِالعِشْقِ
فَأَحْلَى مَا فِي الهَوَى التَّضْمِين
نَحْنُ أَسْرَى مَعًا .. وَفِي قَفَصِ الحُبّ
يُعَانِي السَّجَّانُ وَالمَسْجُونُ
...
سَامِحِينِي إِذَا اضْطَرَبْتُ فَإِنّي
لا مُقَفًّى حُبِّي .. وَلا مَوزُونُ
وَازْرَعِينِي تَحْتَ الضَّفَائِرِ مِشْطًا
فَأُرِيكِ الغَرَامُ كَيفَ يَكُونُ ..
قَادِمٌ مِنْ مَدَائِنِ الرِّيحِ وَحْدِي
فَاحْتَضِنِي ، كَالطِّفْلِ ، يَا قَاسِيُونُ
احْتَضِنِّي .. وَلا تُنَاقِشْ جُنُونِي
ذُرْوَةُ العَقْلِ يَا حَبِيبِي الجُنُونُ
احْتَضِنِّي .. خَمْسِينَ أَلْفًا وَأَلْفًا
فَمَعَ الضَّمِّ لا يَجُوزُ السُّكُونُ ..
أَهِي مَجْنُونَة بِشَوقِي إِلَيهَا ...
هَذِهِ الشَّامُ أَمْ أَنَا المَجْنُونُ ؟
حَامِل حُبِّهَا ثَلاثِينَ قَرْنًا
فَوقَ ظَهْرِي وَمَا هُنَاكَ مُعِينُ
...
جَاءَ تشرين يَا حَبِيبَةَ عُمْرِي
أَحْسَنُ وَقْتٍ لِلهَوَى تشرين
وَلَنَا مَوعِدٌ عَلَى جَبَلِ الشَّيخِ

كَمِ الثَّلْجِ دَافِئٌ وَحَنُونُ

لَمْ أُعَانِقْكِ مِنْ زَمَانٍ طَوِيل

لَمْ أُحَدِّثْكِ . وَالحَدِيثُ شُجُونُ

لَمْ أُغَازِلْكِ وَالتَّغَزُّلُ بَعْضِي

لِلْهَوَى دِينُهُ .. وَلِلسَّيفِ دِينُ [١٢٠]

يُشِيرُ -هنا- إلى عدم ممارسته الهَوَى فَتْرَةً طويلة؛ فكَبَت رغبته الجِنْسِيَّة، ومِنْ ثَمَّ وَجَدَتْ مَخْرَجًا في ألفاظه، التي تُوَضِّحُ ما يَدُورُ فِي ذِهْنِهِ من اشتياقٍ إلى فعل الهوى:

سَنَوَاتٌ سَبْعُ مِنَ الحُزْنِ مَرَّتْ

مَاتَ فِيهَا الصَّفْصَاف وَالزَّيتُون

سَنَوَاتٌ فِيهَا اسْتَقَلْتُ مِنَ الحُبِّ

...

أَوقِدِي النَّارَ .. فَالحَدِيثُ طَوِيلُ [١٢١]

إنَّ قَوَانِين تكوين الأحلام بالنسبة إلى فرويد هي قوانين تكوين أعمال الفن، ومنها الأعمال الشعريَّة؛ فَقَدْ مَيَّزَ بين عنصرين في العمل الفني: محتواه الظاهر، أي الصور المأخوذة على نحو عادي من الانطباعات النَّهَارِيَّة المُخْتَلِفَة التي يَسْهُل تَذَكُّرها، والأفكار الكامنة، أيَّ أنَّ الشعور يَتَنَكَّرُ بِمَهَارَةٍ خَلْفَ صُوَر المحتوى الظاهر، ومِنْ ثَمَّ نستطيع الوصول إلى الأفكار الكامنة، ومِنْ هُنَا تُطَبَّق منهجيَّة التداعي الحُرّ، وهي منهجيَّة تُسَلَّط على صُوَر العمل الفَنِّيّ الذي يَهْدِفُ إلى تحرير جهازنا النفسيّ كُلِّيًّا، وذلك باستقبال كُلّ ما يَخْطُرُ على بالنا حَتَّى الأفكار والصور الأشدّ تَفَاهَة.

إذن المحتوى الحقيقي للعمل الفني يتنكر ويتحول صورةً ظَاهِرة؛ فالعَمَلُ الفَنِّيّ الظاهر عبارة عن تَمَثُّلات بديلة / رموز لمواضيع الرغبة؛ فهذه الغرائز المكبوتة تلجأ إلى عَدَدٍ من الصُّوَر الوَسِيطَة، ومن هذه الصُّوَر الإبداع الفَنِّيّ، ومنه الشعر.[١٢٢]

وَضَّح فرويد أن الأعمال الفنيَّة كالأحلام؛ فهو يرى أن الأعمال الفنيَّة ومنها الأعمال الشعريَّة لها محتوى ظاهريّ (خارجيّ)، ومحتوى باطنيّ (خَفِيّ)، محتواها الباطنيّ من الانطباعات النَّهَارِيَّة المُخْتَلِفَة والأفكار الكامنة، وهذا ما نجده في شعر نِزَار السِّيَاسِيّ؛ ففيه يتحدث عن قضايا سياسيَّة بألفاظٍ جنسيَّة صريحة، أي أنه على الرغم من حديثه عن قضايا سياسيَّة؛ فإنها تحمل رغبات جنسيَّة واضحة؛ فشعره السياسيّ ظاهره قضايا سياسيَّة، وباطنه نزعات ورغبات جنسيَّة، إذن نستطيع القول إنَّ شعر نِزَار السياسيّ يَحْمِلُ النزعة الجِنْسِيَّة.

تَتَجَلَّى وظيفة الصُّوَر البديلة، بوصفها رُمُوزًا لأعمال الفن، في أنها بمنزلة صمامات للغرائز المكبوتة؛ ولأنَّهَا تُؤَمِّنُ تفريغًا جزئيًا للاشعور؛ فهي تَقِي جهازنا النفسيّ من ضغط الطاقات المُتَرَاكِمَة في أعماقه؛ فالنشاط الرمزيّ يُمَثِّلُ تعويضًا يُمْكِن به إشباع كُلّ رغباتنا الجِنْسِيَّة وغرائزنا العُضْوِيَّة، كما أنه يُمَثِّلُ تسويةً قادرة جزئيًّا على تحريرنا من الواقع، إنَّهُ عودة إلى جَنَّة عدن كُلّ شيء مُبَاح؛ حيث تُشْبِعُ رَغَبَاتُنَا حاجتها مِنَ الهَلْوَسَات.[١٢٣]

نجد ذلك واضحًا في شعر نِزَار السِّيَاسِي؛ وما يَكْتَظُّ به من صُوَر بديلة تُعَبِّرُ عَمَّا بداخله من رغبات جنسيَّة، وكَأَنَّ شِعْرَهُ مُتَنَفَّسٌ لغرائزه المكبوتة؛ فمن خلال تلك الصور والرُّمُوز يتمكن من إشباع رغباته الجِنْسِيَّة.

ووَضَّح فرويد أن الأُسُس الأوليَّة للسُّلُوك الإنسانيّ، أي الأُسُس الفِطْرِيَّة التي يُولَد بها الإنسان، وتَنْطَوِي عليها نفسه، تَدْفَعُهُ إلى كثير مِمَّا يَصْدُرُ عنه من ألوان المَشَاعر، وقد حَدَّدَ معنى كلمة (غريزة)، وهي قُوَّة نَفْسِيَّة راسخة تصدر

من صميم الكائن العضويّ، وتَنْبُعُ من التكوين البَدَنيّ النَّفْسِيّ، وتؤدي به إلى حالة من التوتُّر تدفعه إلى تدبير المواقف التي تُهَيِّئُ له ما يلتمسه مِنَ الإشباع، ومِنْ ثَمَّ أرجع الأُسُس التي تدفع الإنسان إلى كثير من أشكال التفكير والفن، ومنه الشِّعْر، إلى الغَرَائِز الجِنْسِيَّة، والغرائز الجِنْسِيَّة التي كُبِتَتْ في أثناء الطُّفُولة خاصَّة؛[١٢٤]

إنَّ الاستثارات الجِنْسِيَّة التي مَرَّ بها نزار في مرحلة الطُّفُولة، أي خبرات الطُّفُولَة الأُولَى المُخْتَزَنَةَ في اللاشعور، وَجَدَتْ طريقها للخروج في أشكالٍ مختلفة؛ فظهرت في الأعمال الفنيَّة؛ فبَدَتْ النزعة الجِنْسِيَّة في شعره السياسيّ.

إنَّ الإبْدَاعَ إنْجَازٌ يُشِيرُ إلى رغبة جنسيَّة مكبوتة، وكل رغبة لا واعية تسعى لأَنْ تتحقق باسترجاع العلامات المرتبطة بالتجارب الأولى للإشباع.

وهذا ما ينطبق على شعر نِزَار السِّيَاسِيّ؛ فالأُسُس الأَوَّلِيَّة والدوافع الفطريَّة -ومنها غرائزه الجِنْسِيَّة الطُّفُولِيَّة، التي وَضَحَتْ في كثير من أشعاره- أسهمت في تكوين فَنِّه؛ فعند حديثه عن موقف سياسيّ نجد غرائزه الجِنْسِيَّة واضحة في كلماته. ويَتَّضِحُ ذلك في قصيدة (الدِّيك)، يقول:

فِي حَارَتِنَا

دِيكٌ سَادِيٌّ ، سَفَّاحْ .

يَنْتِفُ رِيشَ دَجَاجِ الحَارَةِ كُلَّ صَبَاحْ .

يَنْقُرُهُنَّ ..

يُطَارِدُهُنَّ ..

يُضَاجِعُهُنَّ .. [١٢٥]

يَصِفُ الشَّاعِرُ فِعْلَ دِيك حَارته في الدجاجة؛ فهو يَنْقَضُّ عليها، ويلتصق بها؛ ليَنْتِفَ رِيشَهَا، ثُمَّ يضربها، ويطاردها، ويضاجعها، وفي كل هذه الألفاظ: (النتف - النقر - المطاردة - المضاجعة) دلالات جنسيَّة عميقة. وغيرُ خَافٍ أَنَّ الدِّيكَ رَمْزٌ للحاكم المستبد، والدَّجَاج رَمْزٌ للشَّعْب المقهور. ويَسْتَمِرُّ في وَصْفِ هذا الدِّيك قائلاً:

فِي حَارَتِنَا

دِيكٌ يَلْبَسُ فِي العِيدِ القَومِيّ

لِبَاسَ الجِنْرَالاتْ ..

يَأْكُلُ جِنْسًا ..

يَشْرَبُ جِنْسًا ..

يَسْكَرُ جِنْسًا ..

يَرْكَبُ سُفُنًا مِنْ أَجْسَادٍ ..

يَهْزِمُ جَيشًا مِنْ حَلَمَاتْ ... [١٢٦]

إنَّ دِيكَ حَارته يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَسْكَرُ جِنْسًا، ولا يكتفي بذلك بل يَعُدُّه -مِنْ فَرْطِ فُحُولَته الجِنْسِيَّة- قَلِيلاً؛ فَيَرْكَبُ صَهْوَة أَجْسَاد النِّسَاء، وَيَهْزِمُ جَيشًا مِنْ حَلَمَاتِ أَثْدَائِهِنَّ.

ويتنافسُ دَجَاجُ الحَارَة لِلفَوزِ بِهَذا الدِّيك؛ وحين يَمُرُّ بِسُوقِ القَرْيَة منفوش الريش، تَلْمَعُ النَّيَاشِين عَلَى كَتِفَيهِ:

يَصْرُخُ كُلُّ دَجَاجِ القَرْيَةِ فِي إِعْجَابْ:

(يَا سَيِّدَنَا الدِّيكْ ..

(يَا مَولانَا الدِّيكْ ..

(يَا جِنرَالَ الجِنْسِ .. وَيَا فَحْلَ المِيدَانْ ..

(أَنْتَ حَبِيبُ مَلايِينَ النِّسْوَانْ ..

(هَلْ تَحْتَاجُ إِلَى جَارِيَة ؟

(هَلْ تَحْتَاجُ إِلَى خَادِمَةٍ ؟

(هَلْ تَحْتَاجُ إِلَى تَدْلِيكْ؟ ..). [١٢٧]

جَعَل هَذَا الدِّيك مَثَار إِعْجَاب كُلّ دجاج القرية، الذي يَصْرُخُ -فِي إِعْجَابٍ- عند رؤيته، ويُرَحِّبُ به، ويَنْعَتُهُ بأنه: جِنرَال الجِنْسِ، وفَحْل المِيدَان، وحَبِيب مَلايِينَ النِّسْوَان، ويسأله في شوقٍ: هل تحتاج إلى جارية، أو خادمة، أو مَنْ تُدَلِّكَك؟

إِنَّ الشُّعَرَاءَ لديهم حساسيَّة مُرْهَفَة تُتِيحُ لَهُمْ أَنْ يُدْرِكُوا خَلَجَاتِ نَفْس الآخَرِين الخَفِيَّة، وشجاعة لا يَتَرَدَّدُونَ معها في إطلاق الحُرِّيَة لِلاشعور لِيَنْطِقَ بِمَا شَاءَ، ولكن لِزَامًا عليهم أن يستثيروا لَذَّةً فِكْرِيَّة وَجَمَالِيَّة مُعَيَّنة، وكذلك بعض العواطف والمَشَاعِر، ومِنْ ثَمَّ لا يَسَعَهُمْ أَنْ يُمَثِّلُوا الواقع كما هو، دُونَ تعديله؛ بَلْ يُفْرَضُ عَلَيهِم أن يَعْزِلُوا بَعْضَ جَوَانِبه، أو يُخْفُوا بَعْضَ مَظَاهِرِهِ المُحْرِجَة؛ لذا عَلَى الشُّعَرَاء أن يَهْتَمُّوا بالموضوعات التي تَخْلُبُ أَلْبَابَ الإنسانيَّة منذ آلاف السنين، ويُضِيفُوا اللَّذَّة والمُتْعَة إلى موضوعاتهم من خلال الموضوعات الجِنْسِيَّة.[١٢٨]

وينطبق هذا على شخصية نِزَار قَبَّانِي، وشعره، ولا سِيَّمَا شعره السياسيّ؛ فقد أدرك بشخصيته المُرْهَفة مَا في نَفْس الآخرين، وانطلق مُصَرِّحًا بالمشاعر المكبوتة في لا شُعُورِهِمْ، ومِنْ هُنَا وَجَدْنا النَّزْعَةَ الجِنْسِيَّة بارزةً في شِعْرِهِ السِّيَاسِيّ؛ بُغْيَةَ إكساب شعره اللَّذَّة الفِكْرِيَّة، والمُتْعَة الفَنِّيَّة.

إِنَّ العمليات اللاشعوريَّة المألوفة في إنتاج الحُلْم تَجْرِي على النحو نفسه في عمليَّة التأليف؛ فَكُلُّ حُلْم تَحْقِيق لِرَغْبَة مَكْبُوتَة، وكذلك التأليف تحقيق لرغبة مكبوتة؛ فكلاهما صِرَاعٌ بين دوافع مكبوتة ودوافع تَبْذُلُهَا قُوَّة الرَّقَابَة في الذات.[١٢٩]

إِنَّ الشعر عمل فَنِّيّ ناتج من التأليف؛ لذلك فالعمليات اللاشعوريَّة المُسْتَخْدَمَة في الحُلْم هي نفسها المُسْتَخْدَمَة في الشعر؛ فنَتَجَ شعر نِزَار السياسيّ من صراع داخليّ بين دوافعه الجِنْسِيَّة المكبوتة وما تَبْذُلُه قُوَّة الرَّقَابَة في ذَاتِهِ.

إِنَّ تقويم الموضوع الجنسيّ في شعر نِزَار؛ مِمَّا أظهر النزعة الجِنْسِيَّة في شعره السياسيّ، وهذا ما أوضحه فرويد؛ حيث قال إن تقويم الموضوع الجنسيّ تقويمًا نفسيًّا بوصفه هَدَفًا تسعى الغريزة الجِنْسِيَّة له، لا يكون مقصورًا على الأعضاء الجِنْسِيَّة، إنما يَمْتَدُّ إلى جسم الموضوع الجنسيّ كله، ويميل إلى استيعاب الأحاسيس الممتدة منه؛ إِذْ إِنَّ الفَرْدَ يكون في حالة من الافتتان العقليّ حيال الموضوع الجِنْسِيّ:[١٣٠]

إِنَّ مفهوم الجِنْسِيَّة في التحليل النفسيّ مُرَادِف لمفهوم الحُبّ، بأوسع معانيه؛ فهو يتضمن الحُبّ الجِنْسِي، وحُبّ الذَّات، وكذلك التعلُّق الحميم بالموضوعات العِيَانِيَّة والأفكار، وكُلّ هذه المُيُول تُعَبِّر عَنْ دَوَافِع غَرِيزِيَّة؛ ففي العلاقات بين الجنسين تَفْتَحُ هَذِهِ الدَّوَافِع الطَّرِيقَ صَوبَ الاتحاد الجِنْسِيّ، وفي أحوالٍ أُخْرَى تَتَحَوَّل عَنْ هَذَا الهَدَف، أو تَلْجَأ إلى الاسْتِبْدَال بِأَلْفَاظ جِنْسِيَّة في الفُنُون، وَمِنْهَا النِّكَات وَالشِّعْر.[١٣١]

وقد اكْتَظَّ شِعْرُ نِزَار بالألفاظ الجنسيَّة المُوحِيَة؛ لِمَا يَجُولُ فِي نَفْسِه من خيالات جنسيَّة؛ كُبِتَتْ مُرَاعَاةً للعَادَات والثَّقَافَة وَالدِّين.

لقد استخدم الألفاظ الجِنْسِيَّة في عَرْض مُشْكِلَة العالم العربيّ ومشكلة فِلَسْطِين، وإذا كان فرويد قَدْ فَسَّرَ العَالَم كُلّه تَفْسِيرًا جِنْسِيًّا، ورَبَطَ الإِنْسَان وَالحَضَارة بِشَجَرَةِ الجِنْس؛ فماذا ننتظر مِنْ عَرَبِيّ مثل نِزَار قَبَّانِي أن يفعل،

وهو يَشْعُرُ كُلَّمَا سَافَرَ فِي جَسَدِ حبيبته أنه يَتَطَهَّر، ويَدْخُل مَمْلَكة الخَير والحَقّ والضَّوء؛[١٣٢] فكان من الضروري أن تظهر النَّزْعَة الجِنْسِيَّة في شعره السياسيّ، بل إنه تَعَمَّدَ التباهي والتفاخُر بما لديه من حِسٍّ جنسيّ.

وَيُوَضِّح فرويد أَنَّ الغَرائِزَ الجِنْسِيَّة المكبوتة لا تفقد شيء مِنْ قُوَّتِهَا؛ ولذلك تَسْعَى جاهدةً لدخول الشُّعُور مِنْ خِلال تَسْوِيَة، تظهر في الإبداعات الفنيَّة، والأفكار الفلسفيَّة والاجتماعيَّة.[١٣٣]

ونجد ذلك واضحًا في أعمال نِزَار، وخاصة شعره السياسيّ؛ فغرائزه الجِنْسِيَّة المَكْبُوتَة وَجَدَتْ طريقها إلى الخروج مِنَ اللاشعور إلى الشُّعُور؛ من خلال تسوية، بَدَتْ في إبداعه الفنيّ، الذي مَثَّلَهُ الشعر السياسيّ الممتزج بالنزعة الجِنْسِيَّة المكبوتة، واستخدامُهُ بَعْضُ الصُّوَر الجِنْسِيَّة في شعر بعيد عن الموضوع الجنسي يُثْبِتُ سيطرة تلك النزعة عليه؛ حَتَّى إنها تَجِيءُ تلقائيًّا دون تَكَلُّف.

فالفنان مُبْدِع، والسياسيّ مُبْدِع، وكلاهما يرى مِنْ خَلْف حُجُب الرُّؤْيَة؛ فيتصور الغَد على وَفْقِ دراسة مستفيضة للواقع والأمس، بِخِبْرَات العُمْر وتَصَوُّرَاته المَوزُونَة بِمِيزَان العَدْل، وبروحه العلميَّة التي تُقِيمُ في مُخْتَبَرَات التاريخ؛ فنِزَار قَبَّاني أحد فلاسفة الكلمة؛ فكانت أشعاره خرقًا للقاعدة، وسبقًا للحدث، وضربًا من ضُرُوب الخَيَال والجُنُون، حين تلامست -بعد موته- مع جليل الأحداث التي تَنَبَّأَ بها قَبْلَ حُدُوثِهَا؛[١٣٤]

ومن هنا يتضح أَنَّ نِزَار فَنَّان وسياسيّ مبدع، جَاءَ شِعْرُهُ مِنْ فِطْرَتِهِ، وما بها من غرائز مَطْمُورَة؛ فكان شعرُهُ ضربًا من ضروب الخيال والجُنُون؛ فنجده يتحدث عن قضية سياسية بألفاظ وأفعال جنسيَّة.

وسُلُوك الشخص المُبْدِع لا يتوافق -عادةً- مع عامَّة الناس، وكذا إبداعُهُ الفَنِّيّ يختلف –بوضوح– عن غيره؛ حتى إنهم رَبَطُوا بين العبقريَّة والجُنُون؛[١٣٥]

فنزار شخصية مُبْدِعَة؛ فجاء إبداعه الفنيّ مختلف عن السُّلُوك العَام للناس؛ ففي شعره السياسيّ يهتم بالجنس؛ فظهور النزعة الجِنْسِيَّة في شعر نزار السياسيّ يرجع إلى شخصيته الابتكاريَّة المُمَيَّزة، أو –بعبارة أخرى– أَوجَدَتْ شَخْصِيَّتُهُ الابتكاريَّة المُمَيَّزة النزعة الجِنْسِيَّة في شعره السياسيّ.

إِنَّ الكِتَابَةَ عند جاك دريدا (Jacques Derrida) هي الأثر الغائب الذي لا يحضر إلا بالاستدعاء والتذكُّر، والتذكُّر الذي نستدعيه لنكتب هو تذكر مُغَايِر للزَّمَن الذي عَانَاهُ الفاعل وقت لحظة الإبداع.[١٣٦]

وذلك ما نجده في شعر نِزَار؛ الذي نَتَجَ مِنْ تَذَكُّر يختلف عن الزمن أو الوقت الذي يُعَايِشُهُ؛ فكان شعره السياسيّ نتيجة تَذَكُّر مُغَايِر لما يَمُرُّ به؛ فهو في ظِلّ الأحوال السياسيَّة المضطربة يكتب بنزعة مستغرقة في كُلّ ما له علاقة بالجنس.

ونستطيع القول إن خروج هذه الألفاظ ذات الصبغة الجِنْسِيَّة الصريحة، يرجع للمكبوت لدى نِزَار مِنْ تَجَارِب الطُّفُولة والمُرَاهَقَة؛ فقد أَدَّتْ العوائق الخارجيَّة دورًا كبيرًا في ظهور النزعة الجِنْسِيَّة في شعر نزار السياسيّ؛ فالبيئة الاجتماعية وعوامل الحضارة كلها دوافع جديرة بإيجاد هذه النزعة الجِنْسِيَّة في شعره السياسيّ.

وقد اهتم نِزَار بجذب جمهوره؛ فعَمَدَ إلى التعبيرات الجِنْسِيَّة؛ لِمَا للموضوعات الجِنْسِيَّة من قدره على جذب القارئ؛ فالطبيعة تَطْلُبُ الجِنْسَ؛ فتَمَادَى في تعبيراته الجِنْسِيَّة؛ حتى إنه مَارَسَ في شِعْرِهِ الجِنْس مع المَنَاطِق المُحَرَّمَة.

يقول في قصيدة (مَرْسُوم بِإِقَالَةِ خَالِد بْن الوَلِيد):

هَكَذَا تُخْصَى البُطُولاتُ لَدَينَا يَا بُنَيّ ..

...

إِنَّهُم خَلْفَ الكَوَالِيس ..

وَهُمْ يَغْتَصِبُونَ امْرَأَةً تُدْعَى الوَطَن ..

وَيَبِيعُونَ الخَلاخِيلَ بِرِجْلَيهَا ..

يَبِيعُونَ البَسَاتِينَ بِعَينَيهَا ..

يَبِيعُونَ العَصَافِيرَ التِي

تَسْكُنُ فِي نَافِذَةِ النَّهْدَينِ مِنْ بَدْءِ الزَّمَن[١٣٧]

إِنَّ أَحْدَاث حياتنا تستمدُّ قُوَّتَهَا النفسيَّة من الأحداث الأُولَى التي نبذناها في لا شعورنا، وأننا لا نقوم فيها سوى بتَكْرَار الأحداث المكبوتة، وذلك بأن نُضْفِي على حياتنا وأفكارنا المشاعر المكبوتة داخلنا.

ونجد ذلك واضحًا عند نِزَار؛ فأفكاره الإبداعيَّة الناتجة من المؤثرات السياسيَّة استمدت قُوَّتَهَا من المشاعر المكبوتة داخله؛ إِنَّ كُلَّ الرواسب الكامنة المكبوتة في لا شعوره صدرت عن غرائز طُفُولِيَّة لها طابع جنسيّ، إضافةً إلى أن الحضارة وتقدمنا الثقافي يفرض مكبوتات جديدة[١٣٨]ونجد ذلك واضحًا في شعره، من تركيزه على أفعال جنسيَّة طُفُولِيَّة؛ كالمصّ، وكذلك تركيزه على النَّهْد؛ فهو خير دليل على غرائزه الجِنْسِيَّة المكبوتة المتعلقة بالطُّفُولة.

فالغريزة الجِنْسِيَّة لدى نِزَار تَنْبُعُ من حاجاته البيولوجيَّة، التي لا استغناء عنها؛ إنه في الموقف السياسيّ تطغى عليه غريزته الجِنْسِيَّة المكبوتة منذ الطفولة؛ فتدفعه إلى إبداع مصبوغ بالصبغة الجِنْسِيَّة، ومن هنا برزت النزعة الجِنْسِيَّة في شعر نِزَار السِّيَاسِيّ.

ب) الشَّبَقُ الجِنْسِيّ:

دَلَّتْ أشعارُ نِزَار قَبَّانِي السياسيَّة المصبوغة بالنزعة الجِنْسِيَّة على أنه متعطش -أشدّ ما يَكُون التعطُّش- إلى المرأة؛ فَإِنَّ بوسعنا أن نقول إن الجنس يُمَثِّلُ بالنسبة إليه مِحْوَر الحياة، وحقيقة الأمر أن الدافع الجنسيّ «الخام (crude sex – drive) حاجة بيولوجيَّة تُمَثِّل الغريزة (instinct)، ومشروط بتغيُّرَات كيميائيَّة ضِمْن العُضْوِيَّة، ويعتمد الحافز (urge) على إفرازات داخليَّة، وهَدَفُهُ هو التخلُّص مِنْ تَوَتُّر فيزيائيّ، ويتم تفعيل التنبيهات الداخليَّة بالتغيُّرات الكيميائيَّة التي تنزع إلى إحداث تفريغ (discharge)، أو إطلاق (release) تُمْكِن مقارنته بالإطراح»[١٣٩].

وهذا ما يتضح لدى نزار؛ فمختلف المشاعر والأحاسيس وما يتعلق بها من ألوان مختلفة من أفكار جنسية، دفعته إلى هذا النشاط الفَنِّيّ المصبوغ بالنزعة الجِنْسِيَّة.

ونجد ذلك واضحًا في قصيدة (ملاحظات فِي زَمَنِ الحُبِّ وَالحَرْب):

أَلاحَظْتِ شَيئًا ؟

أَلاحَظْتِ أَنَّ العِلاقَةَ بَينِي وَبَينَكِ ..

فِي زَمَنِ الحَرْبِ ..

تَأْخُذُ شَكْلاً جَدِيدًا

وَتَدْخُلُ طَورًا جَدِيدًا

وَأَنَّكِ أَصْبَحْتِ أَجْمَلَ مِنْ أَيِّ يَومٍ مَضَى ..

وَأَنِّي أُحِبُّكِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ يَومٍ مَضَى ..

أَلاحَظْتِ ؟

كَيفَ اخْتَرَقْنَا جِدَارَ الزَّمَنْ

وَصَارَتْ مِسَاحَةُ عَينَيكِ ..

مِثْلَ مِسَاحَةِ هَذَا الوَطَنْ ..

أَلاحَظْتِ ؟

هَذَا التَّحَوُّلَ فِي لَونِ عَينَيكِ

حِينَ اسْتَمَعْنَا مَعًا .. لِبَيَانِ العُبُورْ

أَلاحَظْتِ ؟

كَيفَ احْتَضَنْتُكِ مِثْلَ المَجَانِينِ ..

كَيفَ عَصَرْتُكِ مِثْلَ المَجَانِينِ ..

كيف رَفَعْتُكِ .. ثُمَّ رَمَيتُكِ ..

ثُمَّ رَفَعْتُكِ .. ثُمَّ رَمَيتُكِ ..

فَاليَومَ عُرْسٌ ..

وَتشرينُ سَيِّدُ كُلِّ الشُّهُورْ ..

أَلاحَظْتِ ؟

كَيفَ تَجَاوَزْتُ كُلَّ ضِفَافِي ؟

وَكَيفَ غَمَرْتُكِ مِثْلَ مِيَاهِ النُّهُورْ

أَلاحَظْتِ .. كَيفَ انْدَفَعْتُ إِلَيكِ ؟

كَأَنِّي أَرَاكِ لأَوَّلِ مَرَّهْ ..

أَلاحَظْتِ كَيفَ انْسَجَمْنَا ..

وَكَيفَ لَهِثْنَا .. وَكَيفَ عَرِقْنَا ..

وَكَيفَ اسْتَحَلْنَا رَمَادًا .. وَكَيفَ بُعِثْنَا ..

كَأَنَّا نُمَارِسُ فِعْلَ الغَرَامْ ..

لأَوَّلِ مَرَّهْ ..

...

أُحِبُّكِ فِي زَمَنِ النَّصْرِ..

إِنَّ الهَوَى لا يَعِيشُ طَوِيلاً

بِظِلِّ الهَزِيمَهْ ..

هَلِ الحَرْبُ تُنْقِذُنَا بَعْدَ طُولِ الضِّيَاعِ ؟

وَتُضْرِمُ أَشْوَاقَنَا الغَافِيَهْ

فَتَجْعَلَنِي بَدَوِيَّ الطِّبَاعْ

وَتَجْعَلَكِ امْرَأَةً ثَانِيَهْ ..

...

تَرَكْتُ عُصُورَ انْحِطَاطِي وَرَائِي ..

تَرَكْتُ عُصُورَ الجَفَافْ

وَجِئْتُ عَلَى فَرَسِ الرِّيحِ وَالكِبْرِيَاءِ

لِكَي أَشْتَرِي لَكِ ثَوبَ الزِّفَافْ ..

تَصِيرِينَ فِي زَمَنِ الحَرْبِ ..
مَصْقُولَةً كَالمَرَايَا
وَمَسْحُوبَةً كَالزَّرَافَهْ
وَبَينَ يَدَينَا تَذُوبُ الحُدُود
وَتُلْغَى المَسَافَهْ
قَرَأْتُ خَرَائِطَ جِسْمِكِ ..
فِي كُتُبِي المَدْرَسِيَّهْ ..
وَلا زِلْتُ أَحْفَظُ أَسْمَاءَ كُلِّ النُّهُورِ ،
وَأَشْكَالَ كُلِّ الصُّخُورِ ،
وَعَادَاتِ كُلِّ البَوَادِي
وَلا زِلْتُ أَحْفَظُ أَعْمَارَ كُلِّ الجِيَادِ
فَكَيفَ أُفَرِّقُ بَينَ حَرَارَةِ جِسْمِكِ أَنْتِ ..
وَبَينَ حَرَارَةِ أَرْضِ بِلادِي ؟؟
وَجَدْنَا أَخِيرًا .. حُدُودَ فَمَينَا
عَثَرْنَا عَلَى لُغَةٍ لِلحِوَارْ
وَكَانَ حزيرانُ يَجْلِسُ فَوقَ يَدَينَا
وَيَحْبِسُنَا فِي كُهُوفِ الغُبَارْ
وَكُنْتُ أُحِبُّكِ ..
لَكِنَّ لَيلَ الهَزِيمَةِ صَادَرَ مِنِّي النَّهَارْ
وَكُنْتُ أُرِيدُ الوُصُولَ إِلَيكِ ..
وَلَكِنَّهُمْ أَنْزَلُونِي ... قُبَيلَ رَحِيلِ القِطَارْ..
...
أُحِبُّكِ .. يَا امْرَأَةً مِنْ بِلادِي
وَأَنْوِي ، عَلَى شَفَتَيكِ ، الإِقَامَهْ
...
أُحِبُّكِ ..
حِينَ يُسَافِرُ شَعْرُكِ فِي الرِّيحِ ..
دُونَ جَوَازِ سَفَرْ
وَحِينَ يُغَمْغِمُ نَهْدُكِ ..
كَالذِّئْبِ .. فِي لَحَظَاتِ الخَطَرْ[١٤٠]

يتضح مِمَّا سبق أنه يستخدم رموزًا وصُوَرًا وأَلْفَاظًا تُصَوِّرُ شَهْوَته الجنسيَّة في القصائد السياسيَّة؛ فتبدو القصيدة قَضِيَّة سياسيَّة، ولكنها تُخْفِي داخلها رغبات جِنْسِيَّة، كما يتضح من خلال وصفه: (احتضنتك مثل المجانين،

عصرتك مثل المجانين، رفعتك ثم رميتك، ثم رفعتك ثم رميتك، كيف غمرتك، قرأت خرائط جسمك)، وهي كلها صُوَر جنسيَّة، ولا تخرج هذه الصُّوَر من إنسان إلا إذا كانت مسيطرة على تفكيره، ومختلطة بكيانه.

فنجد هذه الأبيات تَعْكِسُ ما يدور في خيال نزار من أفكار جنسيَّة؛ مما يؤكد النزعة الجِنْسِيَّة في شعر نِزَار السياسيّ؛ فهو في قصيدته هذه يحكي فعلاً جنسيًّا، ويصف جسد الحبيبة أو المرأة التي يُرِيدُ أَنْ يُمَارِسَ معها الفعل الجنسيّ، من خلال تلاعبه بالألفاظ؛ فهو يذكر العلاقة بينه وبين محبوبته، وأنها أصبحت أفضل مِنْ أيّ يوم، وتَتَوَالَى تعبيراته واصفًا فعل الهوى، على الرغم من كونه يحكي قَضِيَّة سياسيَّة.

وهذا يَعْنِي أَنَّ الطاقة الجِنْسِيَّة يمكن إفراغها من خلال الكلمات والنشاط الرمزيّ، وهو ما فعله نِزَار؛ فقد اقتصد طاقته الجِنْسِيَّة في أحوالٍ سياسيَّة، وأخرجها في كلماته ونشاطه الرمزيّ، أي شعره.

إِنَّ الرغبة الجِنْسِيَّة تتكلم حين تَجِدُ طَرِيقهَا إلى التعبير، أي أن رَدَّ فِعْل الكِتَابَة هو الذي يقوم مقامها حُجَّةً على وُجُودِهَا، وبهذا تكون قد أَنْهَتْ مصيرها، وأحرزت شكلاً من الإشباع؛ فالرغبة الجِنْسِيَّة تُعَبِّرُ عن نفسها وتظهر إلى الوجود من خلال الألفاظ والكتابة؛ فالقصيدة لا تنحصر فيما يَحُسُّه الشاعر، ولا فيما يريد قوله، ولا في الانطباع الذي من الضروري أن يختبره كُلّ شخص خاضع للتقلبات، ولكن القصيدة تنتج من القُوَى اللبيديَّة، كما أن الأُمْنِيَّات السِّرِّيَّة (التفكير المستتر) تتحول لِتُؤَلِّف الفن[١٤١]

إِنَّ الألفاظ والكتابة لدى نزار تظهر بوصفها رد فعل لرغباته الجِنْسِيَّة في أثناء الطفولة، وشعره لم ينحصر فيما أحسه فقط؛ فالقصيدة لديه، أيًّا كان موضوعها، تَنْتُجُ من قُوَّتِه اللبيدية، ويعكس شعره -أيضًا- أُمْنِيَّاته السِّرِّيَّة وتفكيره المُسْتَتِر.

ونجد ذلك واضحًا في قوله في قصيدة (مُورفين):

اللَّفْظَةُ جَسَدٌ مُهْتَرِئٌ

ضَاجَعَهُ الكَاتِبُ، وَالصَّحَفِيُّ

وَضَاجَعَهُ ...

شَيخُ الجَامِعْ ..

...

اللَّفْظَةُ فِي بَلَدِي امْرَأَةٌ

تَحْتَرِفُ الفُحْشَ .. [١٤٢]

جعل الألفاظَ أجسادًا مُمَزَّقة، خاليةً مِن البَهَاء والرَّونَق؛ من كثرة مُضَاجَعَة كُلٍّ مِنْ: الكاتب، والصحفيّ، وشيخ الجامع لها!؛ فهي –بعبارة مختصرة– امْرَأَةٌ مُومِس.

ويُعَدُّ هذا ردّ فعل لرغبة جنسيَّة مختزنة داخله؛ إِنَّ هذه الأبيات لم تَخْرُجْ فقط من إحساسه بالظُّلْم السياسيّ، وما يدور حوله من أحوال سياسيَّة متدهورة، ولكنها نَتَجَتْ من قُوَّة لبيدية، ومِنْ ثَمَّ ظهرت النزعة الجِنْسِيَّة في شعره السياسيّ.

يقول في قصيدة (الوصية):

أَدْوِيَةٌ .. لِلقُدْرَةِ الجِنْسِيَّهْ

...

أَرْفُض مِيرَاثُ أَبِي ..

...

وَكُلَّ مَا أَورَثَنِي .. مِنْ عُقَدٍ جِنْسِيَّهْ

...

أَدْخُلُ مِثْلَ البَرْقِ مِنْ نَافِذَةِ الخَلِيفَهْ

أَرَاهُ لا يَزَالُ مِثْلَمَا تَرَكْتُهُ

مُنْذُ قُرُونٍ سَبْعَةٍ

مُضَاجِعًا جَارِيةً رُومِيَّهْ

...

أَقُولُ فِي سَرِيرَتِي :

تَبَارَكَ الجِهَادُ فِي النُّحُورِ ،

وَالأَثْدَاءِ ..

وَالمَعَاصِمِ الطَّرِيَّهْ ..

يَا حَضْرَةَ الخَلِيفَهْ ..

أَعْبُرُ مِنْ سَرَادِيقِ الحَرِيمِ كَالمَنِيَّهْ

أَمْشِي عَلَى الأَبْدَانِ ، وَالغِلْمَانِ ،

وَالأَسْوَارِ المُزَمَّرِيَّهْ ..

أَمْشِي عَلَى تَوَجُّعِ الحَرِيرِ وَالقَطِيفَهْ ..

أَدْخُلُ مِثْلَ المَوتِ مِنْ نَافِذَةِ الخَلِيفَهْ

يَحْسَبُنِي مُرْتَزِقًا ..

...

يَأْمُرُ لِي مِنْ بَيتِ مَالِ المُؤْمِنِينَ كُلَّ مَا أَطْلُبُهُ

عَبَاءَةً مِنْ قَصَبٍ

وَسَاعَةً مِنْ ذَهَبٍ

وَمِنْ نِسَاءِ قَصْرِهِ مَحْظِيَّهْ [١٤٣]

إِنَّ تفكير نِزَار المُسْتَتِر قد انعكس على شعره؛ ففي أفكاره المُسْتَتِرَة نجد أن الجِدَّ موصول بالأثداء والنُّحُور، وفي سريرته يَأْمُل أَنْ يَحْصُلَ على إحدى نساء القصر؛ إذن فشعره السياسيّ مصبوغ بالنزعة الجِنْسِيَّة، والشعر يُخْفِي أكثر مِمَّا يقول.

يقول في قصيدة (قِرَاءة أَخِيرة عَلَى أَضْرِحَة المَجَاذِيب):

مِنْ مَلَلِي ..

شَنَقْتُ نَفْسِي أَمْس .. فِي ضَفَائِرِ الحَبِيبَة ..

لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْعَلَ الحُبَّ .. كَمَا عَوَّدتهَا ..

كَانَتْ خُطُوطُ جِسْمِهَا غَرِيبَة

كَانَ السَّرِيرُ بَارِدًا ..

وَالبَرْدُ كَانَ بَارِدًا ..

وَنَهْدُ مَنْ أُحِبُّهَا لَيمُونَة كَئِيبَة ..

بَعْدَ حزيران أَضَعْتُ شَهْوَتِي

سَقَطْتُ فَوقَ سَاعِدَيّ حَبِيبَتِي

كَالرَّايَةِ المَثْقُوبَة .. [١٤٤]

بعد حزيران فَتُرَتْ هِمَّتُهُ، وذَهَبَتْ شَهْوَتُهُ، وصار عَاجِزًا عن ممارسة فعل الهوى، وتراءى له نهد محبوبته ليمونة كئيبة، وانهارت مقاومته فسقط –كَالرَّايَة المَثْقُوبة– فوق ساعديّ حبيبته مَخْزِيًّا.

ويُتَابِع قَصِيدَتَهُ، وَيَتَطَرَّق إِلَى الحَدِيثِ عَن الزَّوَاج بِالمُتْعَة، والغَرَائِز المَشْبُوبَة، ومجالس الشراب والنساء، والغيبوبة؛[٤] ودلالات الألفاظ هنا مُثِيرَة، وبها دعوة جنسيَّة.

وَيُوَضِّحُ فرويد أن الأعمال الشعريَّة تنتج من الدوافع التي تُسَيِّر الناس، يعني الانفعالات وعمل التخيُّل، وأفضل ابتكار في نظريَّة اللاشعور أن هناك ميكانيكية مُعَقَّدة للغرائز وأنماط الكتابة وحيل الرغبة الجِنْسِيَّة، إنَّ تحليل العمليات الشعوريَّة يدعو إلى التدخُّل في كل مكان يشتغل فيه الخيال.[١٤٦]

أي أننا نستطيع القول إنَّ شِعْرَ نِزَار السياسيّ نَتَجَ من دوافعه الداخليَّة وغرائزه الجِنْسِيَّة، وهناك ارتباط بين غرائزه وشعره؛ فَجَاءَ شِعْرَهُ السياسيّ مصحوبًا بالنزعة الجِنْسِيَّة، التي ظهرت في ثورة الخليج العربيّ على الثورة الصناعيَّة والاقتصاديَّة ضد أوربا، وغزو الكثير من رجال الأعمال العرب لسوق مال أوربا؛ فعلى الرغم من كون القضيَّة سياسيَّة؛ فإنه استخدم الصور والتعبيرات الجِنْسِيَّة؛ فنشعر وكأننا نقرأ فعل جنسيّ لا فعل سياسيّ. يقول في قصيدة (أَبُو جَهْل .. يَشْتَرِي (فْليتْ ستريتْ) ....):

عَنْتَرَةٌ .. يَبْحَثُ طُولَ اللَّيلِ ، عَنْ رُومِيَّةٍ

بَيْضَاءَ كَالزُّبْدَةِ ..

أَو مليسةِ الفَخْذَينِ .. كَالهِلالْ .

يَأْكُلُهَا كَبَيضَةٍ مَسْلُوقَةٍ

مِنْ غَيرِ مِلْحٍ - فِي مَدَى دَقِيقَةٍ –

وَيَرْفَعُ السِّرْوَالْ !! [١٤٧]

ظَلَّ عَنْتَرَة، وَهُو رَمْزٌ لِكُلِّ حَاكِمٍ ظَالِمٍ، يَبْحَثُ اللَّيل بتمامه، عن امرأة رُومِيَّة تُضَاجِعُهُ، تَتَّصِفُ بِبَيَاضِ الجِسْم، وامْتِلاء القَوَام، عِنْدَئِذٍ يَلْتَهِمُهَا في دقائقٍ معدودة.

وينتقل من عَنْتَرَة إلى بَنِي عَبْس، وهم رَهْط عَنْتَرة، الذين يَفْتَرِسُونَ قِطْعَةً من نهد كل سيدة، بعد أن تَدُورَ الخَمْرُ بِرُؤُوسِهِمْ، يقول:

هَا هُمْ بَنُو عَبْسٍ .. عَلَى مَدَاخِلِ المِتْرُو

يَعُبُّونَ كُؤُوسَ البِيرةِ المُبَرَّدَهْ ..

وَيَنْهَشُونَ قِطْعَةً ..

مِنْ نَهْدِ كُلِّ سَيِّدَهْ ... [١٤٨]

وفي ختام القصيدة يُخَاطِبُ طَوِيلَ العُمْرِ قائلاً :

يَا مَنْ تَشْتَرِي النِّسَاءَ بِالأَرْطَالْ ..

وَتَشْتَرِي الأَقْلامَ بِالأَرْطَالْ ..

لَسْنَا نُرِيدُ أَيَّ شَيءٍ مِنكْ ..

فَانْكَحْ جَوَارِيكَ كَمَا تُرِيدْ .. [١٤٩]

يُخَاطِبُ المَلِكُ الذي يَذْبَحُ رَعَايَاهُ، ويُحَاصِرُ الأُمَّةَ بِالنَّارِ، وعلى الجانب الآخر يلهو بالنساء كَمَا شَاء، ويَنْكِحُ الجَوَارِي وَقْتَما أَرَاد؛ فما علاقة النِّكَاح هنا بهذه القضية السياسيَّة؟ إنه فعل يرغب فيه نِزَار بَقُوَّة.

يقول في قصيدة (البوابة):

هُنَاكَ دَومًا مَخْرَجٌ

مِنْ بَطْشِ فِرْعَونٍ .. يُسَمَّى الشِّعْر .... [١٥٠]

لقد لجأ إلى الشعر السياسيّ بوصفه متنفسًا لِمَا يَجِيشُ فِي صَدْرِهِ مِنْ هُمُومٍ تُثْقِلُ كَاهِلَهُ ويَنُوءُ بِهَا ظَهْرَهُ، عَانَاهَا مِنْ بَطْشِ فِرْعَون واستبداده؛ فهو لا يكتب لنفسه فقط، بل يجعل لشعره السياسيّ هدفًا عَامًا، وغاية اجتماعيَّة؛ فهو يُرِيدُ أَنْ يُنْقِذَ العالَمَ بِأَسْرِهِ مِنْ كُلِّ حَاكِمٍ بَاطِشٍ مُسْتَبِد، ويُنْقِذُ النِّسَاء مِنْ أَقْبِيَة الطُّغَاة، يقول في قصيدة (لِمَاذَا أَكْتُبُ):

أَكْتُبُ ..

حَتَّى أُنْقِذَ العَالَمَ مِنْ أَضْرَاسِ هُولاكُو .

وَمِنْ حُكْمِ المِيليشْيَات،

وَمِنْ جُنُونِ قَائِدِ العِصَابَهْ

أَكْتُبُ ..

حَتَّى أُنْقِذَ النِّسَاءَ مِنْ أَقْبِيَةِ الطُّغَاةِ

مِنْ مَدَائِنِ الأَمْوَاتِ،

مِنْ تَعَدُّدِ الزَّوجَاتِ،

مِنْ تَشَابُهِ الأَيَّامِ،

وَالصَّقِيعِ وَالرَّتَابَهْ [١٥١]

فإنَّ ما يمنعه من الموت كَمَدًا هو المرأة، التي يذوب فيها عشقًا، والكتابة، التي يَنْبِضُ بها قلبه، يقول في القصيدة نفسها:

لا شَيءَ يَحْمِينَا مِنَ المَوتِ،

سِوَى المَرْأَةِ .. والكِتَابَهْ ... [١٥٢]

ويقول في قصيدة (التَّلامِيذ يَعْتَصِمُونَ فِي بَيتِ الخَلِيلِ بْن أَحْمَد الفَرَاهِيدِيّ):

وَأَعْشَقُ الشَّمْسَ التِي تَطْلُعُ دُونَ مَوعِدٍ

مِنْ شَفَةِ المَحْبُوبْ .. [١٥٣]

في هذه القصيدة السياسيَّة لا يتخلى عن عادته؛ فيمارس العشق جِهَارًا على طريقته؛ فنراه يُعَرِّج على ذِكْر قُبُلات المحبوب التي تأتي غِرَّة دون ميعاد.

ثم يقول في القصيدة نفسها:

أَرْتَكِبُ المَوتَ عَلَى نَهْدَينِ طَائِشَين

يَجْهَلانِ، مَا هُوَ القَانُونْ ؟؟ [١٥٤]

ويتطرق إلى الحديث عن نَهْدَي المحبوبة الطَّائِشَينِ، وهو يَلْهُو بِهِمَا كما يشاء؛ كطفلٍ عابث، وهُمَا يَتَحَرَّكَانِ -في حُرِّيَة- لِجَهْلِهِمَا بكُنْه القانون، الذي يُكَبِّلُ كُلَّ شَيءٍ بِقُيُودِهِ، ويَمْنَعُهُ من حُرِّيَة الحركة.

ويقول في قصيدة (آخر عُصْفُورٍ يَخْرُجُ مِنْ غَرْنَاطَة):

أُعْجُوبَةٌ أَنْ أَلْتَقِي امْرَأَةً بِهَذَا اللَّيلِ،

تَرْضَى أَنْ تُرَافِقَنِي ..

وَتَغْسِلَنِي بِأَمْطَارِ الحَنَانْ [١٥٥]

إنه يَتَمَنَّى أن يُصَادِفَ في هذا الليل امرأةً، تُرَحِّبُ بِمُرَافَقَتِهِ؛ فَيَصْطَحِبَهَا إلى غُرْفَتِهِ، ويُضَاجِعها؛ فتغمره بِأَمْطَارِ الحَنَان. ثم ينتقل إلى الحديث عن بيروت، ويُصَوِّرُهَا في هيئة امرأة، ذُبِحَتْ في سَرِيرِ زِفَافِهَا، على غِرَّة، ووَقَفَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيهَا فِي وُجُوم، وَهِي تَخْرُجُ نَازِفَةً إلى الطريق، يقول:

بَيرُوتَ تُذْبَحُ فِي سَرِيرِ زِفَافِهَا

وَالنَّاسُ حَولَ سَرِيرِهَا مُتَفَرِّجُون

بَيرُوتُ ..

تَنْزِفُ كَالدَّجَاجَةِ فِي الطَّرِيقِ، [١٥٦]

وغير خافٍ الدلالة الجِنْسِيَّة لهذه الألفاظ: (سرير زفافها - النزيف).

فإنه يَعِيشُ فِي زَمَنٍ تَغْرُبُ فِيهِ الرُّجُولَة، وتَبْرُزُ الفَضَائِحَ، يقول:

النَّفْطُ يَسْتَلْقِي سَعِيدًا تَحْتَ أَشْجَارِ النُّعَاسِ،

وَبَينَ أَثْدَاءِ الحَرِيمْ ..

...

النَّفْطُ هَذَا السَّائِلُ المَنَوِيُّ .. [١٥٧]

جَعَلَ النَّفْط (السَّائِل المَنَوِيّ) رَجُلاً مُضْطَجِعًا فِي فِرَاشِهِ الوَثِير، وحَولَهُ مَجْمُوعَة كبيرة مِنَ الحِسَانِ، وهو يستلقي سعيدًا، ويعبث بأثدائِهِنَّ، ولا غَرْوَ فبإمكانه أن:

يَشْرِي أَلْفَ غَانِيَةٍ لَعُوبْ [١٥٨]

ويُعْلِن نِزَار لأَحِبَّتِه فِي نِهَايَة القَصِيدَة أَنَّ :

كُلَّ اللُّؤْلُؤِ المَخْبُوءِ فِي النَّهْدَينِ ..

كُلَّ العُشْبِ، كُلَّ اليَاسَمِينْ

حَقٌّ لِكُلِّ الحَالِمِينْ .. [١٥٩]

لقد جَعَلَ مِنْ حَقِّ كُلِّ الحَالِمِينَ أَنْ يَسْتَمْتِعُوا بِاللُّؤلؤ المَخْبُوء في نَهْدَي المرأة، ونلاحظُ إصراره الكبير على الزَّجّ بالألفاظ الجِنْسِيَّة في الشعر السياسيّ، وخاصة لفظة (النَّهْد)، ولا تخفى الدلالة النفسيَّة لذلك.

ويقول في قصيدة (لِمَاذَا يَسْقُطُ مُتْعِبُ بْن تَعْبَانْ فِي امْتِحَان حُقُوق الإِنْسَانْ؟):

لا أَحَدٌ يُرِيدُنَا.

فِي المُدُنِ التِي تُقَايِضُ البُتْرُولَ بِالنِّسَاءِ، [١٦٠]

إنَّ هذه المُدُن العَرَبِيَّة تَأْخُذ البُتْرُول، وَتَعُدُّهُ مَغْنَمًا، وَتُعْطِي بِدَلاً مِنْهُ النِّسَاء؛ فهي تبيع عِرْضِهَا بِالمَال، ويَا لَهَا مِنْ صَفْقَةٍ خَاسِرَة!

ويُنْظَرُ إِلَى المُدُن، مُنْذُ القَدِيم، بِوَصْفِهَا «رُمُوزًا للنِّسَاء بصورة عامَّة ... ومن السهل أن يَتَوَحَّد الجسد البشريّ الأُنْثَوِيّ بجسد المدينة؛ لاشتراك الجَسَدَين فِي التأنيث من جهة، ومن جهة أخرى فإنه في معظم الأحيان كانت حركة التاريخ ضِدّ المُدُنِ فتحًا واجتياحًا واغتصابًا لها ولنسائها»![١٦١]

ويستكمل وَصْف هَذِهِ المُدُن قَائِلاً :

لا أَحَدٌ يُرِيدُنَا . .

فِي مُدُنِ المُقَاوِلِينَ، وَالمُضَارِبِينَ، وَالمُسْتَوردِينَ،

...

وَالمُقَدِّمِينَ لِلأَمِيرِ عِنْدَمَا يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ

قَائِمَةً بِأَجْمَلِ النِّسَاءِ ..

وَالمُوَظَّفِينَ فِي بَلاطِ الجِنْسِ ..[١٦٢]

إنَّ هذه البِلاد تُبَالِغُ فِي إِكْرَامِ أَمِيرِهَا؛ ودليل ذلك أنها تَمُدُّهُ بِقَائِمَةٍ تَحْوِي أَسْمَاء أَجْمَلِ نِسَاءِ المَدِينَة، وأَهَم المُوَظَّفِين فِي بَلاطِ الجِنْس؛ بُغْيَةَ تَيسِير سُبُل المُتْعة الجِنْسِيَّة للأمير.

ويصف حاله وحال غيره من أفراد الشعب المَقْهُور:

مُكَوَّمُونَ دَاخِلَ الأَقْفَاصِ كَالجُرْذَانْ

...

لا امْرَأَةٌ تَقْبَلُنَا.[١٦٣]

إنَّ أَكْثَرَ مَا يُحْزِنُهُ، وَيَحُزُّ فِي نَفْسِهِ، أَنَّهُ فِي هَذَا الوَضْعِ المُهِين، لَنْ يَجِدَ امْرَأَةً وَاحِدَةً تَقْبَل مُرَافَقَته ومُضَاجَعَته؛ مِمَّا يُؤَكِّدُ سيطرة النزعة الجِنْسِيَّة على ذهنه وأفكاره.

يقول في قصيدة (عَزْفٌ مُنْفَرِدٌ عَلَى الطَّبْلَةِ ...):

لا أَحَدٌ يَزْنِي بِالكَلِمَاتِ،

سِوَى الدَّولَهْ !!

...

لا يُوجَد عُرْيٌ أَقْبَحُ مِنْ عُرْيِ الدَّولَهْ ... [١٦٤]

إنه يُبْدِي حَسْرَتَهُ وتَعَجُّبَهُ مِنَ الدَّولَة التي تُمَارِسُ فِعْل الزِّنَا بِالكَلِمَات، ولا تَسْتَحِي إن تَعَرَّتْ أمام شعبها، وظَهَرَ جِسْمُها الدَّمِيم، لقد استخدم ألفاظ: (الزِّنَا - العُرْي)، بما تحمله من دلالات جنسيَّة عميقة، في شعره السياسيّ الثائر.

ويقول في قصيدة (الخَطّ الأَحْمَر ..):

خِلالَ خَمْسِينَ سَنَهْ

عَرَفْتُ أَلْفَ امْرَأَةٍ .. وَامْرَأَةٍ ..

وَأَلْفَ جِسْمٍ رَائِعٍ

وَأَلْفَ نَهْدٍ نَافِرٍ [١٦٥]

يتحدث عن مغامراته النسائيَّة، التي استغرقت خَمسين عامًا، وعَرَفَ فيها ألف امرأة، صاحبة جِسْمٍ ممشوق رائع، ونَهْدٍ نَافِر، ولا شَكَّ في أَنَّ «أكثر الألوان التي أُسْتُخْدِمَتْ في غزل نِزَار قَبَّاني هو اللون الأحمر، الذي يَرْمُزُ للرغبة الجنسيَّة والتمرُّد والثورة التي تتناسب ونظرته الماديَّة الحسيَّة الثائرة»[١٦٦]

ويقول في قصيدة (وَطَنٌ بِالإِيجَارْ):

كُلَّ نَهَارٍ ،

تَجْلِسُ فَوقَ سَرِيرِي امْرَأَةٌ

تَخْطِفُهَا مِنِّي الأَقْدَارْ

كُلُّ امْرَأَةٍ تَحْمِلُ طِفْلاً مِنِّي

يَضْرِبُهَا الإِعْصَارْ[١٦٧]

لقد جَلَسَ فَوقَ سَرِيرِه كَثِيرٌ مِنَ الحِسَان، وخَطَفَتْهُمْ الأقدارُ مِنْهُ، وحَمَلَتْ منه كثيرٌ مِن الغَوَانِي، وضَرَبَهُم الإِعْصَار.

ويقول في قصيدة (أَطْفَال الحِجَارَة):

قَاتَلُوا عَنَّا .. إِلَى أَنْ قُتِلُوا ..

وَجَلَسْنَا فِي مَقَاهِينَا .. كَبَصَّاقِ المَحَارَهْ

...

وَاحِدٌ .. يَطْلُبُ مِلْيَارًا جَدِيدًا ..

وَزَوَاجًا رَابِعًا ..

وَنُهُودًا صَقَلَتْهُنَّ الحَضَارَهْ .. [١٦٨]

يَقُصُّ قِصَّة هؤلاء الأطفال البَوَاسِل، الذين حَمَلُوا الحِجَارة، وَاُسْتُشْهِدُوا، وبَهَرُوا الدُّنْيَا، وعلى الجانب الآخر جَلَسَ شُعُوبُ العَالم العَرَبِيّ أَذِلاء، يَلْهُون عَلَى المَقَاهِي، ويَتَطَلَّع كُلٌّ مِنْهُمْ إلى منفعتهم الشخصيَّة؛ فمنهم مَنْ يَطْمَحُ إِلَى المَالِ الوافر، ومنهم مَنْ يَرْغَبُ فِي التَّزَوُّج للمرة الرابعة مِنْ صاحبة نَهْد أصقلته الحضارة !

ويقول في قصيدة (الجنرال يَكْتُبُ مُذَكَّرَاته):

قَاتَلْتُ بِالأَسْنَانْ

كَي أَحْمِلَ المَاءَ إِلَى قَبِيلَتِي

...

وَأَجْعَلَ الكَلامَ مِنْ بَنَفْسَجٍ

وَضَحْكَةَ المَرْأَةِ مِنْ بَنَفْسَجٍ

وثَدْيَها .. قِمَّةَ عُنْفُوانْ ... [١٦٩]

لقد قاتل هذا الجنرال ببسالة لتحقيق هدفه المنشود؛ فهو يريد أن يجعل ضِحْكَةَ المَرْأَةَ من بنفسج، وثديها في قمة العُنْفُوان!

ويقول في قصيدة (اليَومِيَّات السِّرِّيَّة لِقَصِيدَة عَرَبِيَّة):

فَنَحْنُ قَومٌ لا يَرَونَ الفَرْقَ

بَينَ دِقَّة الخَصْر .. وَبينَ دِقَّة التَّعْبِيرْ .. [١٧٠]

لقد رَبَط بَينَ دِقَّة الخَصْر ودِقَّة التعبير، وسَاوَى بَينَهُمَا في قوة التأثير وعمقه.

ويختم القصيدة بقوله:

وَنَأْخُذُ القَصِيدَةَ العَصْمَاءَ لِلسَّرِيرْ ... [١٧١]

لقد جعلَ القصيدةَ العصماءَ وَلِيمَةً تُلْتَهَم عَلَى السَّرِيرِ.

ويقول في قصيدة (النَّصَائِح الذَّهَبِيَّة .. فِي أَدَبِ الكِتَابَة النَّفْطِيَّة):

٨- خَصِّصْ عَمُودَكَ اليَوميَّ لِلأَزْيَاءِ ..

وَالأَزْهَارِ .. وَالفَضَائِحِ الجِنْسِيَّهْ. [١٧٢]

ومن النصائح الذهبيَّة في أدب الكتابة النفطيَّة: أن يُخَصِّصَ الشَّاعِرُ عَمُودَهُ اليَومِيَّ للحديث المستفيض عن الفضائح الجِنْسِيَّة.

ويقول في قصيدة (السِّيرَة الذَّاتِيَّة لِسَيَّافٍ عَرَبِيّ):

أَيُّهَا النَّاسُ:

لَقَدْ أَصْبَحْتُ سُلْطَانًا عَلَيكُمْ

...

اتْرُكُوا أَطْفَالَكُمْ مِنْ غَيرِ خُبْزٍ ..

وَاتْرُكُوا نِسْوَانَكُمْ مِنْ غَيرِ بَعْلٍ

...

فَابْعَثُوا زَوجَاتِكُمْ يَحْمِلْنَ مِنِّي

وَابْعَثُوا أَزْوَاجَكُمْ كَي يَشْكُرُونِي .. [١٧٣]

نراه يُقْحِمُ –كَعَادَتِهِ– النزعة الجِنْسِيَّة في شعره السياسيّ؛ فيتحدث عن النِّسْوَان اللاتي تُقِيمُ مِنْ غَيرِ بَعْل، والزوجات اللائي تُرْسَل إِلَيه لِتَحْمَل مِنْه؛ لِفُحُولته الجِنْسِيَّة؛ وإزاء ذلك لا يَجِدُ أزواجهم بُدًّا من المَجِيء إِليه لِتَقْديم وَافِر الشُّكْر لَهُ. ويستمر في وصف فُحُولته الجِنْسِيَّة؛ فيقول:

وَاخْطُبُوا لِي أَصْغَرَ الزَّوجَاتِ سِنًّا ..

فَأَنَا لَسْتُ أَشِيخْ ..

جَسَدِي لَيسَ يَشِيخْ .. [١٧٤]

ويقول في قصيدة (المَحْضَر الكَامِل لِحَادِثَة اغْتِصَاب سِيَاسِيَّة):

سَامِحُونَا

إِنْ تَعَدَّينَا عَلَى عُذْرِيَّة الدَّولَةِ يَومًا

وَاغْتَصَبْنَاهَا بِشَكْلٍ هَمَجِيّ ..

وَاسْتَرَحْنَا ..

وَعَضَضْنَاهَا كَذِئْبٍ مِنْ يَدَيهَا

وَلَعَنَّا وَالِدَيهَا ..

وَأَمَرْنَا الشَّعْبَ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمًا طَازِجًا مِنْ نَاهِدَيهَا .. [١٧٥]

يصف حادثة اغتصاب سياسيَّة في دِقَّةٍ مُتَنَاهِيَة؛ فيتحدث عن عُذْرِيَّة الدولة التي أُنْتُهِكَتْ بشكل هَمَجِيّ من ذِئْبٍ بَشَرِيّ، ثُمَّ عُضَّتْ مِنْ يَدَيهَا، ثم لُعِنَ وَالِدَيهَا، وفي نهاية الوليمة أُمِرَ الشَّعْبُ أَنْ يَأْكُلَ اللَّحْمَ الطَّازِجَ من نَهْدَيهَا.

ويقول في قصيدة (تِلْكَ هِيَ الجَرِيمَة):

أَلَمْ أَقُلْ بِأَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا بِغَيرِ امْرَأَةٍ ؟

كَومٌ مِنَ الحِجَارَهْ .

وَأَنَّ مَنْ لا يَعْرِفُ العِشْقَ

فَلا يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِفَ مَا الحَضَارَهْ ...

لا تَقْلَقِي عَلَيَّ .. يَا صَدِيقَتِي

فَكُلُّ مَا اقْتَرَفْتُهُ

أَنِّي مَنَعْتُ البَدْوَ أَنْ يَعْتَبِرُوا النِّسَاءَ كَالوَلِيمَهْ ... [١٧٦]

يُعَبِّرُ عَنْ وِجْهَةِ نَظَرِهِ فِي الحَيَاة؛ فهو يرى أن الدُّنْيَا دون امرأة تُعَادِلُ كَومًا مِنَ الحِجَارَةِ الصَّمَّاء، وَأَنَّ التَّحَضُّرَ وَالرُّقِيّ لا يَعْرِفُهُ إلا مَنْ ذَاقَ طعم العِشْقَ؛ لِذَا لا يَصِحُّ أَنْ يَعُدَّ البَدْو النِّسَاء كَالوَلِيمة التي تُلْتَهَم بشَرَاهَة عَلَى السَّرِيرِ.

ويقول في قصيدة (هَذَا أَنَا ...):

وَتَشَابَهَتْ كُلُّ النِّسَاءِ

فَجِسْمُ مَرِيَمَ فِي الظَّلامِ .. كَمَا مُنَى .. [١٧٧]

يَصِفُ العَمَلِيَّة الجِنْسِيَّة قَائِلاً: في الظلام تَتَشَابَهُ أجسام النساء، وقد تكون المرأة القبيحة وجهًا أشدّ إِمْتَاعًا جِنْسِيًّا من جميلة الوجه.

ويتحدث عن أثر الشِّعْر في النَّفْس:

إِنَّ الشِّعْرَ يَجْعَلُ كُلَّ حُلْمٍ مُمْكِنَا

وَأَنَا أُفَكِّرُ بِاخْتِرَاعِ النَّهْدِ .. [١٧٨]

ثُمَّ يُصَرِّحُ بأنه لا يهتم بشأن مَنْ جَعَلُوا حِرْفَة الكِتَابة كَفِعْلِ الزِّنَا:

أَنَا لَسْتُ مُكْتَرِثًا

بِكُلِّ البَاعَةِ المُتَجَوِّلِينَ ..

وَكُلِّ كُتَّابِ البَلاطِ ..

وَكُلُّ مَنْ جَعَلُوا الكِتَابَةَ حِرْفَةً

مِثْلَ الزِّنَا ... [١٧٩]

ويقول في قصيدة (الطَّابُور):

طَالَبْتُ بِإِذْنٍ حَتَّى أَلْقَى امْرَأَتِي

فَأَجَابُونِي : إِنَّ لِقَاءَ المَرْأَةِ صَعْبٌ ..

وَعَلَى العَاشِقِ ،

أَنْ لا يَيْأَسَ مِنْ طُولِ الطَّابُورْ

طَالَبْتُ بِإِذْنٍ ..

حَتَّى أُنْجِبَ وَلَدًا ..

قَالَ نَقِيبٌ ، وَهُو يُقَهْقِهُ :

إِنَّ النَّسْلَ مُهِمٌّ جِدًّا ..

فَلْتَسْتَنْظِرْ ، سَنَةً أُخْرَى، فِي الطَّابُورْ [١٨٠]

لقد وَقَفَ فِي طَابُورٍ طَوِيل مُنْتَظِرًا؛ لِيَحْظَى بِلِقَاءِ امرأته، وكان عليه أن يتَحَلَّى بطُول الصَّبر؛ كَي يَظْفَرَ بِالمُرَادِ، وعندما طَلَبَ الإذن حَتَّى يُنْجِبَ وَلَدًا، أَجَابَهُ النَّقِيبُ سَاخِرًا: عليك أن تنتظر سنةً أُخْرَى فِي الطَّابُور !

وقد انتظر في الطابور طَوِيلاً، ولاحَقَه السَّاطُور، وَوَجَدَ:

كُلّ الأَثْدَاءِ مُفَخَّخَةٌ ...

وَسَرِيرُ الحُبِّ ..

يُرِيدُ جَوَازَ مُرُورْ ... [١٨١]

ويقول في قصيدة (التصوير في الزَّمَن الرَّمَادِيّ):

أُحَاوِلُ رَسْمَ مَدِينَةَ حُبٍّ

تَكُونُ مُحَرَّرَةً مِنْ جَمِيعِ العُقَد ..

فَلا يَذْبَحُونَ الأُنُوثَةَ فِيهَا ..

وَلا يَقْمَعُونَ الجَسَدْ ..

رَحَلْتُ جَنُوبًا ..

رَحَلْتُ شَمَالاً ..

ولا فَائِدَهْ ..

فَقَهْوَةُ كُلِّ المَقَاهِي، لَهَا نَكْهَةٌ وَاحِدَهْ

وَكُلُّ النِّسَاءِ لَهُنَّ، إِذَا مَا تَعَرَّينَ ..

رَائِحَةٌ وَاحِدَهْ ..

وَكُلُّ رِجَالِ القَبِيلَةِ، لا يَمْضُغُونَ الطَّعَامَ .

وَيَلْتَهِمُونَ النِّسَاءَ ..

بِثَانِيَةٍ وَاحِدَهْ .. [١٨٢]

يؤكد من واقع خبرته في عَالَمِ المَرْأَةِ أَنَّ رَائِحَةَ النساء -إذا تَعَرَّينَ- وَاحِدَة، وَأَنَّ الرِّجَالَ الذين لا يَمْضُغُونَ الطَّعَامَ إلا بِبُطْءٍ شديد، بمقدورهم التهام النساء في سُرْعَةٍ منقطعة النظير.

ويقول في قصيدة (القصيدة تَطْرَحُ أَسْئِلَتَهَا..) مخاطبًا السلطة التي تَقْبِضُ على الأشواق:

يُطْرِبُنِي ..

أَنْ تُقْفِلُوا أَبْوَابَكُمْ

وَتُطْلِقُوا كِلابَكُمْ

خَوفًا عَلَى نِسَائِكُمْ

مِنْ مَلِكِ العُشَّاقْ ... [١٨٣]

إنه يَشْعُرُ بِتَمَامِ الطَّرَب وَالسَّعَادَة عندما يُثِيرُ فَزَع السُّلْطَات بِقَصَائِدِه السياسيَّة؛ فيجعلهم ينطلقون فَزِعِينَ؛ فَيُغْلِقُوا أبواب القصور، ويُطْلِقُوا كِلابَ الحِرَاسة؛ لأنهم يخافون على نسائهم من مَلِكِ العُشَّاقِ، الذَي يَمْلِكُ قُلُوبَهُنَّ بقصائده الثائرة، التي ما تَنْفَكُّ تُدَافِعُ عن حُرِّيَتِهِنَّ، وتُطَالِبُ بِحُقُوقِهِنَّ.

ويُتَابِعُ طَرْح أسئلة القصيدة مُظْهِرًا فَسَاد بَلاط السُّلْطة الحَاكِمَة الغَاشِمَة:

تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَهْ ...

تَقْبَعُ فِي حَرِيمكُمْ .

فَالنَّهْدُ قُرْبَ النَّهْدْ ..

وَالسَّاقُ قُرْبَ السَّاقْ ..

وَكُلُّ شَيءٍ جَاهِزٌ

وَثِيقَةُ النِّكَاحِ .. أَو وَثِيقَةُ الطَّلاقْ .. [١٨٤]

يستغرق السُّلْطَانُ وحَاشِيته فِي صُنُوفِ النَّعِيم، وعَلَى رَأْسِهَا التَّلَذُّذ بِإِقَامَة العلاقة الجِنْسِيَّة مع الحِسَان؛ لذا يُوجَد فِي بَلاطِ الأُسْرَة الحَاكِمَة تِسْعٌ وتِسْعُونَ امْرَأة، يَسْتَمْتِع بِهِنَّ الحُكَّام؛ فيقترب النَّهْد من النَّهْد، والسَّاق مِنَ السَّاق، وبمنتهى السهولة ينتهي الأمر إِمَّا بالزواج، وإِمَّا بالطلاق؛ لتَذْهَب امْرَأة أَدَّت دَورَهَا، وتَجِيءُ أُخْرَى غيرها لتؤدي الدور نفسه.

ويقول في قصيدة (مُقَابَلة تلفزيونيَّة مع (غودو) عربيّ ..):

مِنْ أَلْفِ عَامٍ ..

وَأَنَا مُنْتَظِرٌ إِجَازَتِي

...

مُنْتَظِرٌ فَاطِمَةً .. تأتي وَمِنْ وَرَائِهَا

جَيشٌ مِنَ الأَشْجَارْ

وَفِي مِيَاهِ نَاهِدَيهَا .. تَسْبَحُ الأَسْمَاكُ وَالأَقْمَارْ [١٨٥]

ويقول في قصيدة (قِرَاءَة ثَانِيَة لِمُقَدِّمَة ابْن خَلْدُون) مُحَدِّثًا صَدِيقَته عَنِ التَّارِيخ:

وَنَحْنُ، مِنْ يَومِ تَخَاصَمْنَا

عَلَى البُلْدَانِ ..

وَالنِّسْوَانِ ..

وَالغِلْمَانِ ..

فِي غَرْنَاطَةٍ .

مَوتَى، وَلَكِنْ مَا لَهُمْ جِنَازَهْ ! .. [١٨٦]

بعد أن مَضَى زَمَنُ قِصَص الشَّهَامَة، والحُرُوب المُظَفَّرة، وأصبح تَنَافُسُ الرِّجَال -في غَرْنَاطَة (Granada)- على البِلْدَان، والغِلْمَان، والنِّسْوَان، بَاتَ الجَمِيعُ مَوتَى، وهُمْ أحياء.

ويقول في قصيدة (الوُضُوء بِمَاءِ العِشْقِ وَالياسَمِين):

أَعُودُ بَعْدَ سِتِّينَ عَامًا

لأَبْحَثَ عَنْ حَبْلِ مَشِيمَتِي،

وَعَنِ الحَلاَّقِ الدِّمَشْقِيِّ الذِي خَتَنَنِي،[١٨٧]

عندما وَقَفَ ليفتتح أمسيته الشعريَّة التي قدمها في معرض الكتاب الدولي بدِمَشْق سنة ١٩٨٨م، نراه يتحدث عن وِلادَتِهِ في دِمَشْق سنة ١٩٢٣م، وحَبْل المَشِيمَة الذي عَادَ لِيَبْحَثَ عَنْهُ، والحَلاَّق الذي خَتَنَهُ، والقَابِلَة التي تَلَقَّتْهُ وَلِيدًا، وهذه الألفاظ: (حبل المشيمة – الخِتَان) لها إيحاءات جنسيَّة.

ويقول في قصيدة (القَصِيدَة الدِّمَشْقِيَّة):

أَلا تَزَالُ بِخَيرٍ ، دَارُ فَاطِمَةٍ ؟

فَالنَّهْدُ مُسْتَنْفَرٌ .. وَالكُحْلُ صَدَّاحُ. [١٨٨]

يتحدث عن نَهْد فَاطِمَة، وَيَصِفَهُ بالاسْتِنْفَار، في دلالة على الاستعداد والتهيُّؤ لأداء ما يُطْلَبُ مِنْهُ مِنْ مَهَامٍ جِنْسِية سريعة.

ويقول في قصيدة (المَرْأة):

الشِّعْرُ يَجِدُ فِي المَرْأَةِ مُرْضِعَتَه، وَحَاضِنَتَهُ، وَأُنْثَاهُ.

وَبِالتَّالِي فَهِي تُؤَكِّدُ ذُكُورَتَه، وَفُحُولَتَه. [١٨٩]

يتحدث عن الإرضاع، والاحتضان، والتقاء الذكر بالأنثى، والذكورة، والفُحُولة، وكُلُّهَا ألفاظ ترتبط بالعلاقة الجِنْسِيَّة.

ويقول في خِتَام قصيدة (العِطْر):

عَلَى أَنَّ خِيَارِي الأَوَّل وَالأَخِير، فِي مَسْأَلَةِ العِطْر، هُو أَنَّنِي أُحِبُّ المَرْأَةَ – الغَمَامَة التِي تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ الدُّوش وهي لا تَحْمِلُ على جَسَدِهَا إِلاَّ رَائِحَةَ الصَّابُون .. وقطرات الماء ... :[١٩٠]

بعد أن يستعرض أنواع العطور التي تَتَعَطَّرَ بها الأُنْثَى؛ فهناك عُطُور تَهْمِس، وعُطُور تَصْرُخ، وعُطُور تَغْتَال، وعُطُور تُشْعِلُ الحَرَائِق، وعُطُور تُنْسِي الكَلام، وعُطُور تَفْتَحُ مَجَالاً لِلحِوَار الطَّوِيل، يُصَرِّحُ -في نهاية الأمر- بِعِطْرِهِ المُفَضَّل؛ فهو يُفَضِّلُ المَرْأَةَ التي تَخْرُجُ مِنَ المُسْتَحَمِّ عُرْيَانَة، تَحْمِلُ عَلَى جَسَدِهَا رَائِحَة الصَّابُون وَقَطَرَات المَاء.

ويقول في قصيدة (مِنْ يَومِيَّات شَقَّة مَفْرُوشَة):

هَذِي البِلادُ، شَقَّةٌ مَفْرُوشَةٌ

يَمْلِكُهَا شَخْصٌ يُسَمَّى عَنْتَرَهْ .

يَسْكَرُ طُولَ اللَّيلِ عِنْدَ بَابِهَا

...

وَيَطْلُبُ الزَّوَاجَ مِنْ نِسْوَانِهَا

وَيُطْلِقُ النَّارَ عَلَى الأَشْجَارِ ، وَالأَطْفَالِ،

وَالعُيُونِ، وَالأَثْدَاءِ ..

...

هَذِي البِلادُ كُلُّهَا ..

مَزْرَعَةٌ شَخْصِيَّةٌ لِعَنْتَرَهْ.

سَمَاؤُهَا.

هواؤها.

نساؤها.[١٩١]

يَصِفُ عَنْتَرَة (حاكم البلاد) بأنه كثير الزواج من النِّسْوَان، ودَائِم إِطْلاق النَّار على أَثْدَائِهِنَّ؛ فعنترة –هنا– رمزٌ للحَاكِم الأَوحَد، والزعيم الذي يَسْتَولِي على البِلاد والعِبَاد، ولا يرى إلا نفسه، يفرضها على الناس فرضًا.

ويقول في قصيدة (تَارِيخنا لَيسَ سِوَى إِشَاعَهْ!):

مِنْ أَينَ يَأْتِينَا الفَرَحْ ؟

...

وَغَايَةُ الدُّنْيَا لَدَينَا :

الجِنْسُ .. وَالنِّسَاءْ ... [١٩٢]

قَصَرَ غَايَة الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا عِنْدَهُ ولذَّتها على أَمْرَينِ، لا ثَالِثَ لهما: الجِنْس، وَالنِّسَاء.

ويقول في قصيدة (البَحْث عَن سَيِّدَةٍ اسْمُهَا "الشُّورَى"):

فَتَّشْنَا ..

حَتَّى فِي أَمْعَاءِ الحَاكِمِ ..

عَنْ سَيِّدَةٍ فُقِدَتْ مُنْذُ القَرْنِ الأَوَّلِ مِنَّا،

تُدْعَى الشُّورَى .

فَوَجَدْنَا رَأْسًا مَقْطُوعًا ..

وَوَجَدْنَا جَسَدًا مُغْتَصَبًا ..

وَوَجَدْنَا نَهْدًا مَبْتُورًا .. [١٩٣]

إنه يَنْعَى الشُّورَى، بَعْدَ أن بَحَثَ عنها في كل مكان، وَوَجَدَ -في نهاية البحث الشاق- رأسها مقطوع، وجسدها مغتصب، ونهدها مبتور، ومِمَّا يَسْتَرْعِي الانتباه حديثه عن الاغتصاب، والنَّهْد، وما يُفْضِي إِلَيهِ مِنْ إِيحَاءَاتٍ جِنْسِيَّة.

ويقول في قصيدة (إِلَى أَينَ يَذْهَبُ مَوتَى الوَطَنْ؟):

قَصَائِدُ .. لَيسَ عَلَيهَا إِزَارْ

تُضَاجِعُ فِي اللَّيلِ كُلَّ خَلِيفَهْ ..

وَتُرْضِي جَمِيعَ جُنُودِ الخَلِيفَهْ .. [١٩٤]

يصف القصائد بأنها عُرْيَانَة، ليس عليها إزار، تُضَاجِعُ الخَلِيفة فِي الليل، وتُرْضِي جُنُوده في النهار؛ فهي تعمل ليل نهار. ومن الألفاظ الجِنْسِيَّة –هنا– (العُرْي–المضاجعة)، ويَسْرَحُ بِنَا الخَيالُ لِنَتَعَرَّفَ إِلَى مَا يُرْضِي جُنُودُ الخَلِيفَة من مِثْلِ هَذِه القَصَائِد.

ويقول في قصيدة (الكِتَابَة بِالحِبْر السِّرِيّ):

وَيُضَاجِعُونَ نِسَاءَهُمْ لَيلاً [١٩٥]

ويقول في القصيدة نفسها:

وَالسَّاكِتُونَ عَلَى اغْتِصَابِ نِسَائِنَا .. [١٩٦]

يُحَقِّقُ الإنسان في الفن شيئًا مِنَ الإِشْبَاع، وبفضل الوهم الفنيّ يستطيع أن يُشْبِعَ بَعْضَ رغباته المكبوتة، وكَأَنَّ الأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بشيءٍ من الواقع![١٩٧]قَبَّانِي استخدم صُوَرَهُ الفَنِّيَّة في إشباع رغبته الجِنْسِيَّة؛ فظهرت النزعة الجِنْسِيَّة في شعره السياسيّ.

ج) النَّرْجِسِيَّة:

النرجسيَّة هِيَ الحُبُّ المُوَجَّه إلى صُورَة الذات، أي عِشْق الإنسان لذاته الفرديَّة دون سِوَاهَا، ذلك العِشْق الزائد الذي يُوَلِّد الأنانيَّة، ويَجْعَلُ المَرْءَ مَدْفُوعًا بقُوَّة قهريَّة لجذب الانتباه بِشَتَّى السُّبُل؛ فهو أحسن وأفضل من غيره، ويريد أن يكون -دومًا- محطّ الأنظار؛ مِنْ فرط إعجابه بنفسه، وافتخاره بها![١٩٨]وقد كان نِزار قَبَّانِي نَرْجِسِيًّا.

ومن دلائل إعجابه الشديد بنفسه، وحُبِّه لذاته، أنه كان يَطْلُبُ من الصحافة إعطاءه الأسئلة ليجيب عنها قَبْلَ إِجْرَاءِ الحِوَار، أو أن يجيب عن أسئلة يضعها بنفسه![١٩٩]

ومِمَّا يُؤَيِّدُ نرجسيته: فُتُوحَاته في عَالَمِ النساء؛ فهو حِينًا يَمْلِكُ جَيش نِسَاء، وحينًا آخر يُؤَسِّس جُمْهُورِيَّة النِّسَاء، وليس غريبًا على مثل هذا القائد المُؤَسِّس ألا يكون لديه وقت يُضَيِّعُهُ مَعَ امْرَأَةٍ وَاحِدَة؛ فخمس دقائق تَكْفِي لكل امرأة، المرأة –إِذَنْ– أداة لاستدرار اللَّذَّة، ووسيلة لتوليد القصيدة:[٢٠٠]

ورأى محمد مصطفى هدارة أن السيرة الذاتيَّة التي كتبها نزار قباني لنفسه بقلمه في كتابه (قِصَّتِي مع الشعر) تؤكد نرجسية نِزَار الزائدة، التي امتزجت بكيانه وفكره، منذ بدايته إلى وفاته؛ حيثُ اتَّضَحَ أنه «مشغولٌ بنفسه، مُعْجَبٌ بها أشد الإعجاب، يضع صورته –بَعْدَ أَنْ شَاخَ– على الغُلافِ الأَمَامِيّ، وصُورته –وهُو طِفْل غَرِير– على الغُلاف الخَلْفِيّ»![٢٠١]

ومن فَرْطِ نَرْجِسِيَّتِهِ –كما يُقَرِّرُ هدارة– وَجَدَ رابطًا بين تشريفه للكون بمولده، ومجيء الربيع، وأكد إيثار أُمِّه له دُونَ سَائِر إِخْوَتِه، ورأى نفسه أعلى شهرة وأَجَلّ رُتْبَةً من المُلُوك والأُمَراء والنُّبَلاء، وأقبل على دراسة القانون بوصفه مفتاحًا عَمَلِيًّا إلى المُسْتَقْبَل، وأخذ يؤكد نفسه عن طريق تحطيم الأشياء؛ حَتَّى أحاطت به الخرافات والأساطير من كل جانب![٢٠٢]إضافةً إلى أنَّه حَاوَلَ أَنْ «يَمْزُجَ بين شخصيات مختلفة: شهريار، وفرعون، وقيصر، كُلّ ذلك ليصنع بُطُولَة زَائِفَة أمام المرأة؛ وليُثْبِتَ أنه خارج على المجتمع»![٢٠٣]

وتَعْنِي النرجسيَّة الباثولوجيَّة (Pathological Narcissism)، التي تقوم على تضخيم الفرد لأناه![٢٠٤]من وجهة نظر التحليل النفسيّ- «تَرَكُّز كُلّ نَزْوَة الحُبّ في الذات، بشكل يَمْنَعَهَا مِنْ رُؤْيَة ما عَدَاهَا، ويَسْجُنُهَا -في حدودها- في حالة من الفِتْنة والإِعْجَاب»![٢٠٥]

إن النرجسيَّة من الصُّوَر الإكلينيكيَّة التي يرسمها الطب النفسي للبارانويا (Paranoia)، وتتمثل في مُبَالَغَةِ المَرِيض في تقدير نفسه، والزهو الذي يَسْتَتِرُ أحيانًا خَلْفَ تَوَاضُعٍ مصطنع، وأحيانًا يتراوح بين الإعجاب بالذات وجُنُون العظمة، وقد يُؤَدِّي حُبّه للذات هذا إلى الاستعراض العقليّ أو الرواقيَّة![٢٠٦]

وهو يكثر من استخدم ضمير (أنا) الدالّ على الشعور بالكبرياء، يقول في قصيدة (راسبوتين العربي):

أَنَا القَاضِي بِأَمْرِ اللهِ، وَالنَّاهِي بِأَمْرِ اللهِ،
... أَنَا المُنْحَازُ كُلِّيًا إِلَى نَهْدَيكِ
... أَنَا المَكْتُوبُ بِالكُوفِيِّ .. فَوقَ عَبَاءَةِ العُشَّاق
... أَنَا المُمْتَدُّ مِثْلُ القَوسِ بَينَ الثَّلْجِ وَالتُّفَّاح،
... أَنَا المُنْسَكِعُ الغَجَرِيُّ تَأْخُذُنِي خُطُوطُ الطُّول

... أَنَا القِدِّيسُ تَأْتِينِي نِسَاءُ العَالَمِ الثَّالِثْ

.. فَاغْسِلُهُنَّ بِالكَافُورِ وَالحِنَّهْ

.. وَأَغْمُرُهُنَّ بِالبَرَكَاتْ

.. وَأُعْطِي كُلَّ وَاحِدَةٍ بَنَفْسَجَةٍ .. وَمَوَّالاً

.. وَأَرْزُقُهُنَّ أَطْفَالا

وَأَزْرَعُهُنَّ كَالأَشْجَارِ فِي الغَابَاتْ

وَأُوصِيهُنَّ أَنْ يَحْفَظْنَ أَشْعَارِي

... فَشِعْرِي يُدْخِلُ الجَنَّهْ [٢٠٧]

تَدُلُّ الأبياتُ دلالةً واضحةً على إعجاب نِزَار الشديد بنفسه؛ فهو القاضِي، الذي يَقْضِي بأمر الله، والناهي، الذي يَنْهَى بأمر الله، وهو المُنْحَازُ، بِكُلِّ جَوَارِحِهِ، صَوبَ نَهْدَي المرأة، وهو صَاحِبُ الشِّعْر الذِي يُكْتَبُ بِالخَطِّ الكُوفِيِّ، وَتُزَيَّنُ بِهِ عَبَاءَةَ العُشَّاق، وهُوَ الخَطُّ المُمْتَدُّ –مِثْل القوس– بَينَ الثَّلْجِ وَالتُّفَّاح، وَهُوَ المُتَسَكِّعُ الغَجَرِيُّ فِي سَفَرٍ إِلَى الأَعْلَى، وَإِلَى الأَحْلَى، وَهُوَ القِدِّيسُ الذي تَأْتِيهِ نِسَاءُ العَالَمِ الثَّالِث؛ كَي يَغْسِلَهُنَّ بِالكَافُورِ وَالحِنَّاء، ويُعْطِي كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُم بَنَفْسَجَة، وَيَهَبَهَا مَوَّالاً، وَيَنْكِحَهَا فَتُرْزَق أَطْفَالاً، وَيَزْرَعهَا كَالشَّجَرِ فِي الغابات، وفي نهاية الأمر يُوصِي كُلاًّ مِنْهُنَّ بِحِفْظِ أَشْعَارِهِ؛ لأَنَّ مَنْ يَحْفَظْهَا تَنْهَالُ عَلَيهِ البَرَكَات، ويَدْخُل الجَنَّة.

المَبْحَثُ الثَّانِي: أَعْرَاضُ النَّزْعَةِ الجِنْسِيَّة فِي شِعْرِ نِزَار قَبَّانِي السِّيَاسِيّ:

أَوَّلاً: تَكْرَارُ كَلِمَة (جِنْس):

إِنَّ أزمة الجِنْس «من أكثر أزمات الفرد والمجتمع التواء وتَخَفِّيًا في التعبير عن نفسها، ومِنْ ثَمَّ مِنْ أكثرها حاجة إلى وسائل التعبير القادرة على امتصاص أبعادها كافَّة»؛[٢٠٨] وبوسعنَا أن نَنْظُرَ إلى الجِنْس بوصفِه مِحْوَرًا للنشاط الإنسانيّ، وقوة ذاتيَّة دافعة، خطيرة التأثير، ولكنها ليست القُوَّة الوحيدة الحاسمة في صياغة الحياة الإنسانيَّة؛ لأنها تصطدم مع سَائِر القُوَى.[٢٠٩]

وقد توسع نِزَار في استخدام «ألفاظ الجنس؛ حَتَّى مع مسقط رأسه دمشق عاصمة الخلافة الإسلاميَّة، ومع الورقة التي يَكْتُبُ فيها شعره»:[٢١٠]

لقد أراد إشهار جَسَد المرأة المَخْض، ووضعه على مَسْرَح الخطاب؛ لذا تَحَدَّثَ عن المرأة، ووصف جسدها دُونَ خَجَل؛ فَقَلَّمَا يَخْرُجُ عَنْ دائرة الغزل الحسيّ المُؤَسَّس عَلَى الشَّوقِ العَارِم لِمَفَاتِن الجَسَد؛ فقد كَانَ «يَهِيمُ بِالجَسَدِ الجَمِيل، يَفْتِنُهُ بِتَكْوِينه وانْثِنَاءَاتِهِ، ويُثِيرُ شَهِيَّته لِلمُتْعَة الحِسِّيَّة»؛[٢١١] فهو صريعُ شَهَوَاتِه، يَسْتَفِزُّهُ العِشْق؛[٢١٢] فَإِنَّ شِعْرَهُ دعوةٌ مقصودةٌ للنَّظَر إلى المرأة نظرةً ماديَّة خَالِصَة، وبوسعنا أن نقول إنه شاعر استغرقته «هُمُوم الجِنْس والشَّهْوَة».[٢١٣]

إِنَّ المَرْأَةَ الحَبِيبَةَ -في نَظَرِهِ- مُثِيرٌ ثَابِت، يُنْتِجُ كُلُّ جُزْءٍ فيها ألف صُورَة؛ مِمَّا جَعَلَهُ يَتَفَنَّن في رسم لوحات فَنِّيَّة بالكلمات؛ وقد ظَلَّتْ المرأة عنده كتابًا مفتوحًا؛[٢١٤] فَإِنَّ تَارِيخَهُ –كما يقول– يَضُمُّ ألف امرأة؛[٢١٥] تَجْلِسُ فَوقَ سَرِيره، وتَحْمِل مِنْه؛[٢١٦] فما يكون منه إلا أن يقرأ جسمها سَطْرًا سَطْرًا، حَرْفًا حَرْفًا؛[٢١٧] فهو الذي يَحْمِلُ لِلنِّسَاء: أطواق الفَيْرُوز، وقصائد الحب؛[٢١٨] ونَظْرَة نِزَار إلى المرأة لسان حال «كُلّ فَحْل وكُلّ رَجُل؛ لأَنَّها تُمَثِّل النَّسَق الثَّقَافِي المَغْرُوس في أذهان الرجال عن وظيفتهم الوجوديَّة مع الجَسَد المُؤَنَّث».[٢١٩]

وتُعَدُّ العلاقة الجِنْسِيَّة، بوصفها علاقة حيويَّة بين الرجل والمرأة، «معيارًا صادقًا في تحديد معنى المرأة عند الرجل، ومعنى الرجل عند المرأة، بل إنها مقياسٌ بالغ الحساسيَّة لأكبر معاني الحياة الإنسانيَّة: الحُرِّيَة؛ فقد هَمَسَ ... المُفَكِّر الفرنسي شارل فوربيه، بأن تَقَدُّم مجتمع ما، يُقَاسُ بِمَدَى حُرِّيَة المرأة»:[٢٢]

يقول نِزَار عن نفسه: لقد «عَرَفْت نِسَاءً كثيرات، وانتصرتُ وانهزمتُ، وأَحْرَقْتُ واحْتَرَقْتُ، وقَتَلْتُ وقُتِلْتُ، وإذا كانت روائح حُبِّي تَفُوحُ بِشَكْلٍ أَقْوَى وَأَعْنَف مِنْ رَوَائِح سَائِر العُشَّاق؛ فلأني رجلٌ يَمْتَهِنُ الكِتَابة، ويَضَعُ حَيَاتَهُ –بِكُلِّ تفاصيلها– على الوَرَق، الفرق بيني وبين سَائِر العُشَّاق، أنهم يُحِبُّونَ في العَتْمة، وضمن جُدْرَان غُرَف النَّوم المُغْلَقَة، أَمَّا أَنَا -فَلِسُوء حَظِّي- أَنِّي رَسَمْتُ عِشْقِي عَلَى الوَرَق، وأَلْصَقْتُهُ عَلَى كُلِّ الجُدْرَان»؛[٢١] وَلَمْ أَشْعُرْ يَومًا «أَنَّ الجِنْسَ وَحْشٌ يَفْتَرِسُ كُلَّ مَنْ يَقْتَرِبُ منه، على العكس كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ الجِنْسَ قِطٌّ مَنْزِلِيّ أليف، وأَنَّنَا نَحْنُ الذينَ رَوَّعناه، وخَوَّفناه، وجَعَلْنَاهُ يَتَسَكَّعُ في الأَزِقَّة الضَّيِّقَة، ويَنَامُ بَينَ الخَرَائِبِ ... لَمْ أَكُنْ مُقْتَنِعًا أَنَّ الجِنْسَ مَغَارة مَلْعُونة، كُلّ مَنْ لامَسَ بَابَهَا الحجريّ سَقَطَ مَيِّتًا»؛[٢٢] حيث إِنَّهُ «في مجتمعات السِّحْر والتَّنْجِيم والتخلُّف وحدها تتضخم فكرة الجِنْس؛ حتى تصبح زائدة دُودِيَّة مُلْتَهِبَة، أَمَّا في المجتمعات التي تَتَنَفَّس تَنَفُّسًا طَبِيعيًّا، وتحيا حياةً سَوِيَّة؛ فَإِنَّ الجِنْسَ يُصْبِحُ نشاطًا عاديًّا، كارتشاف فنجان القهوة الصباحيّ»؛[٢٣] «وحين يختلس الإنسان الحُبّ اخْتِلاسًا، وتتحول المرأة شريحة لحم نتعاطاها بالأظافر، ينتفي الوجه الحضاريّ للحُبّ، وتنتفي أية صيغة إنسانيَّة للحِوَار، ويُصْبِحُ الغَزَل رقصة هَمَجِيَّة حول ذَبِيحَة مَيِّتَة»؛[٢٢٤]

ويقول إِنَّ دِيوَانَهُ الأول (قالت لي السمراء)، الذي صَدَرَ عام ١٩٤٤م : «كان دبوسًا في عَصَبِ المَدِينة الممدودة منذ خمسمائة عام على طاولة التَّخْدِير، تَأْكُلُ فِي نَومِهَا، وتَعْشَقُ في نومها، وتُمَارِسُ الجِنْسَ في نومها»؛[٢٢٥]

لقد رأينا فيه «حُبّ، وشهوة، وعِصْيَان، ووحشيَّة، وجميع الأدوات التي يستعملها المساجين -عَادَةً- لِكَسْرِ أَقْفَال زِنْزَانَاتِهِمْ»؛[٢٢٦] وإذا كان «الحُبّ والشَّهْوَة –في هذا الكِتَاب– قد اتَّسَمَا بالتوتُّر والعصبيَّة؛ فلأن الحُبّ في تلك الأيام كان حُبًّا مَقْهُورًا، ومَحْظُورًا، ومَسْرُوقًا مِنْ ثُقُوبِ الأَيَّامِ، أَمَّا الجِنْس؛ فكان مادةً مُحَرَّمة، لا تُبَاع إلا في السُّوق السَّوداء، وفي بيوت مُمْتَهِنَات الهَوَى»؛[٢٢٧]

يقول نِزَار في قصيدة (الرَّسْم بِالكَلِمَات):

الجِنْسُ كَانَ مُخَدِّرًا جَرَّبْتُهُ

لَمْ يُنْهِ أَحْزَانِي وَلا أَزْمَاتِي.. [٢٢٨]

وقد تَصَدَّى للدفاع عن شهريار قائلاً: «إِنَّ وَلِيمَةَ الجِنْسِ التي كانت تُقَدَّم إليه كل ليلة، أثارت قَرَفه وثَورَته، وليس السيف الذي كان يُغْمِدُهُ في أجساد النساء، سِوَى رَمْزٍ لِقَتْلِ التَّفَاهَة»؛[٢٢٩] وكان نِزَار مثل شَهْرَيَار؛ لذا عَرَف –عن قُرْبٍ– كم كانت جِرَاحُهُ عميقة الأثر.

يقول نِزَار: إِنَّ «علاقة القصيدة بالورقة التي أَكْتُبُ عليها علاقة فيها ملامح كثيرة من لعبة الجِنْس؛ فهي تبدأ كما تبدأ كُلُّ العلاقات الجسديَّة، برغبة في احتلال مساحة لا نعرفها، مِنْ إقليم لا نعرفه»؛[٢٣٠] «ففي عملية الإبداع، كما في عملية الجنس، لا بُدَّ من التَّعَرُّفِ إلى طبيعة الأرض التي نَمْشِي عليها، ولا بُدَّ من حُدُوث الأُلْفَة، والملاءمة، والصعود تدريجيًّا إلى حالة النيرفانا»؛[٢٣١] «إِنَّنِي أَرْبَحُ امْرَأَةً باللُّغَة، وأخسرها باللغة، ... حَتَّى الجنس، لا يستطيع أن يكون جِنْسًا بغير لُغَة ذَكِيَّة تُوَاكِبُهُ، وتُضِيئُهُ ... فكُلُّ الكلمات في اعتقادي عَذَارَى؛ حَتَّى تُضَاجِعَ الكاتِب؛ فَإِمَّا أَنْ تَخْرُج ناصعة الجبين، وإِمَّا أَنْ تَتَعَهَّر»؛[٢٣٢]

والحقيقة أن مصطلح إيروتيكا / شَهَوِيَّة / شَبَقِيَّة (Eroticism) الذي يُقَدَّم به هذا التَّوَجُّه (إثارة الشَّهْوَة الجنسيَّة)، مُشْتَقّ مِنْ كلمة إيروس (Eros)، وهو إله الحُبِّ في الأساطير اليونانيَّة، وقد استعمل فرويد هذا اللفظ بمعنى

غريزة الحُبّ (طاقة نزوات الحياة الجنسيَّة)، وهي تتضمن مجموعة القُوَى الحيويَّة والغرائز التي تهدف إلى الحصول على اللذة الجنسية (اللبيدو)، وتسعى لحفظ النوع والذات.[٢٣٣]

وقد تَحَدَّثَ نزار عَنْ (صُدَاع الجِنْس)[٢٣٤]الذي يَلْهَثُ الناس تحت سِيَاطه، يقول: «إن الجنس، مَهْمَا قِيلَ فِيه، هو حوار ذَكِيّ بين جَسَدَين، هو توغُّل في غابات الفَرَح، هو معركة أولاد على سَرِيرٍ مِنَ الرَّمْلِ النَّاعِم، لا غالب فيها ولا مغلوب»؟[٢٣٥]فهو يريد أن (يغدو الجِنْسَ ترتيلاً وإنشادًا)؛[٢٣٦]ولكن لا يوجد للجنس أسلوبٌ واحد، يقول في قصيدة (أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء):

وإنَّمَا حُرُوبٌ عَبَثِيَّة لا ينتصر فيها أحد.

تَتَكَسَّر فيها الأَسَاوِر عَلَى الأَسَاوِر ..

والأَقْرَاط عَلَى الأَقْرَاط ..

والأَمْشَاط عَلَى الأَمْشَاط ..

وقَصَائِدِي ..

عَلَى قِمَّة نَهْدِك المُغَطَّى بالثُّلُوج ... [٢٣٧]

ويقول في قصيدة (أَحْمَر .. أَحْمَر .. أَحْمَر ..):

إنَّ ضَوءَ الجِنْسِ أَحْمَرْ ..

...

ابْقَ أُمِّيًا .. وَلا تَدْخُلْ شَرِيكًا فِي الزِّنَا أَو فِي الكِتَابَهْ ..

فَالزِّنَا فِي عَصْرِنَا أَهْوَنُ مِنْ جُرْمِ الكِتَابَهْ .. [٢٣٨]

إنه يذكر الجِنْس صَرَاحَةً ، ويُخْبِرُنَا بأن لونه أحمر، ويعني أن ممارسته ممنوعة دائمًا، ولا تخفى دلالة اللون الأحمر على اشتعال الغريزة الجِنْسِيَّة، واحتدام الإثارة، وشِدَّة الاشتهاء، والقُوَّة، والعُنْفُوان والشراسة، والحيويَّة، والثورة، والتمرُّد، والحياة الصاخبة، والغضب، والقسوة؛ فَإِنَّ (الحُسْنَ أَحْمَرُ)؛[٢٣٩]

ويُقَدِّمُ النَّصِيحَةَ لأَمْثَالِهِ مِن الشُّعَرَاء الثَّائِرِينَ:

لا تُفَكِّرْ بِالذِينَ اغْتَصَبُوا شَمْسَ الوَطَنْ

...

لا تَنَمْ بَينَ ذِرَاعَي زَوْجَتِكْ

..

ابْقَ فِي البِرْمِيلِ حَتَّى لا تَرَى

وَجْهَ هَذِي الأُمَّةَ المُغْتَصَبَهْ .. [٢٤٠]

يتحدث عن اغتصاب شَمْس الوَطَن، والنوم بين ذِرَاعَي الزوجة، ووَجْه الأُمَّة المغتصبة، ويُتَابِعُ حَدِيثَهُ ساخرًا؛ فيذكر أَنَّ كُلاً مِنْهُمْ لو بَحَثَ عَنْ سيدة تُسَلِّيه، أو نَهْدَين مَعْطُوبَين يَتَلَهَّى بِهِمَا؛ لأَعْجَزَتْهُ الحِيَل؛ لأنه سَيَجِدُ -حَتْمًا- الضوء أحمر:

أَنْتَ لَو حَاوَلْتَ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ بَيتٍ مِنَ الكَرْتُونِ يَأْوِيكَ ..

أَو سَيِّدَةٍ – مِنْ بَقَايَا الحَرْبِ – تَرْضَى أَنْ تُسَلِّيكَ ..

وَعَنْ نَهْدَينِ مَعْطُوبَينِ .. أَو ثَلاَّجَةٍ مُسْتَعْمَلَهْ

لَوَجَدْتَ الضَّوءَ أَحْمَرْ.. [٢٤١]

ويقول في قصيدة (كِتَابَات عَلَى جُدْرَانِ المَنْفَى):

يَا سَيِّدَتِي .. يَا سَيِّدَتِي

...

كُنْتُ قَدِيمًا أُشْعِلُ فِي نَهْدَيكِ النَّارَ..

وَأَزْرَعُ بَينَهُمَا سَيفا ..

أَمَّا اليَومَ .. فَأَصْبَحَ شَكْلُ النَّهْدِ،

يُشَابِهُ أَسْوَارَ المَنْفَى ..

يَا سَيِّدَتِي .. يَا لُؤْلُؤَتِي . يَا وَاحِدَتِي .

كَيفَ أُمَارِسُ فِعْلَ الحُبِّ ..

وَطَعْمُ الجِنْسِ لَهُ طَعْمُ المَنْفَى؟ [٢٤٢]

إنه يُقَارِنُ بَينَ حَالِهِ حُرًّا طَلِيقًا وَحَالِهِ سَجِينًا مُقَيَّدًا، فِي الحَالِ الأُولَى كَانَ يَظَلُّ يَعْبَثُ بِنَهْدَي محبوبته كيفما شاء؛ حَتَّى تَنْقَضِي شَهْوَتُهُ، ويَشْعُرُ بِتَمَامِ الاسْتِمْتَاع، أَمَّا اليَومَ، وهو بين جُدْرَان المَنْفَى، تَرَاءَى لَهُ النَّهْدين كَسُورَينِ يَابِسَينِ مِنْ أَسْوَارِ المَنْفَى، ولَمْ يَجِدْ للجنس إلا طعم المَنْفَى المَرِير.

ويستمر في وصف مظاهر القَهْرَ الذي يُمَارَسَ عَلَيهِ وعلى أصحابه من السُّلْطَات المُخْتَصَّة:

إِنَّ مَبَاحِثَ أَمْنِ الدَّولَةِ تَطْلُبُ مِنَّا

...

أَنْ لا نَلْمِسَ كَفَّ امْرَأَةٍ ..

أَنْ لا نُنْجِبَ وَلَدًا .. [٢٤٣]

كيف يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَحَمَّلَ مِثْل هَذِه الأوامر الصارمة: أن يمتنع عَنْ لَمْسِ النِّسَاءِ، ويتوقف عن إنجاب الأولاد!

ثَانِيًا: تَكْرَارُ كَلِمَة (نَهْد):

لفظ (النهد) من أكثر الألفاظ وُرُودًا في شعر نِزَار قَبَّانِي على وجه العموم ، وشعره السياسيّ على نحوٍ خاصّ:[٢٤٤]

فقد تَحَدَّثَ عن (قَطْف البُنّ من أشجار النهد)، والنَّهْد الصغير (نُهَيد)، و(طُفُولة نَهْد)، و(حرير النَّهْد المهزهز)، و(الحاكم بِأَمْرِ النَّهْد)؛[٢٤٥]و(جَرْف الثُّلُوج عَنِ النَّهْد)؛[٢٤٦]و(نَهْد فوقه مَرْمَر)، و(الإقطاعات التي لا يَغِيبُ عَنْهَا النَّهْد)؛[٢٤٧] و(نَافِذَة النَّهْدَينِ)، و(النَّهْد الذي نترحلق –كالأطفال– عَلَى مرتفعاته الثلجية!!)؛[٢٤٨]و(النَّهْدين المرفوعين عند الفجر)؛[٢٤٩] و(أحجار النَّهْد)؛[٢٥٠]و(رَسْم النَّهْدَينِ بالزيت والأكواريل)؛[٢٥١]و(السُّكْنَى فِي حَيّ النَّهْدَينِ)؛[٢٥٢]و(ثِمَار النَّهْد)؛[٢٥٣]و(قرع النَّهْدين كَجَرَسَينِ نُحَاسِيين صَبِيحة يَوم الأَحَد)؛[٢٥٤]و(اللؤلؤ المَخْبُوء في النَّهْدين)، و(قمح النَّهْدَين)؛[٢٥٥]و(مصلوبة النَّهْدين)، و(نُهُودًا صَقَلَتْهُنَّ الحَضَارَة)، و(مياه النَّهْد)، و(قمة النَّهْد المُغَطَّى بالثُّلُوج)؛[٢٥٦]و(التَّسَلُّق –كدودة القز– على أشجار النَّهْد)؛[٢٥٧]و(قشطة النَّهْد)؛[٢٥٨]و(أكْل لَحْم النَّهْد الطَّازج).

وَقد مَزَجَ بين النَّهْد والثورة، ووَصَفَ النَّهْد بالبَيَاض، والسَّوَاد، والطَّيش، والاسْتِنْفَار، والاحتراق، والعِزَّة، والنُّفُور، والغمغمة، والبَتْر، والعَطَب، وحَرَّضَهُ على التَّمَرُّد، وشَبَّهَهُ برُمَّانة، وليمونة كئيبة؛[٢٥٩]وشجرة دفلى؛[٢٦٠]وطفل أشقر، وجعله (تِلْمِيذًا فِي دَارِ الحَضَانَة !!)؛[٢٦١]وقاتلاً لقيس بضربةٍ منه؛[٢٦٢]وطَلَبَ إِعْطاءَه فُرْصَةً؛ حتى يُحَطِّمَ قيده، ويقود جُيُوشَ الثَّائِرِينَ؛[٢٦٣]وسَأَلَ: (ومَتَى كَانَت المَرْأَة تُفَكِّر بِغَيرِ نَهْدَيهَا؟)؛[٢٦٤]

يقول في قصيدة (التلميذ):

قَضَيتُ بِشَارِعِ نَهْدَيكِ ..

نِصْف حَيَاتِي

وَمَا زِلْتُ أَجْهَلُ مِنْ أَينَ بَابِ الخُرُوجِ ؟

...

وَمَا زِلْتُ أَجْهَلُ كَيفَ يُهَدَّد نَهْد

بِسِنِّ الطُّفُولة [٢٦٥]

ويقول في قصيدة (مائيات):

وَيَبْدَأُ عِشْقِي العَظِيم الذِي

يَتَسَلَّق جُدْرَان نَهْدَيكِ مِثْل النَّبَات ..

...

وَتَطْلُعُ مِنْ تَحْتِ سُرَّتِكِ المُعْجِزَات

...

أَنَا قَابَ نَهْدَينِ مِنْك

...

فَمِن قَمْح نَهْدَيك ..

يَأْكُلُ نِصْف البَشَر !! [٢٦٦]

ويقول في قصيدة (اختزال):

وَأَعْرِفُ أَنِّي إِذَا مَا دَخَلتُ مَغَارَةَ نَهْدَيكِ يَومًا

أَصِيرُ رَمَادًا ...

...

وَيُذْهِلُنِي ..

أَنَّ نَهْدَيكِ لا يَتْعَبَانِ ..

ولا يُلْقِيَانِ السِّلاح ..

ولا يَخْشَيَانِ مُرُورَ الزَّمَانِ .. [٢٦٧]

وتَحَدَّثَ عن (الخط الحليبيّ الذي يَنْزِلُ من الثَّدْي)، و(طُمُوح الثَّدْي)، و(قِمَّة عُنْفُوَانه)، وصَرَّحَ بِأَنَّ (أجمل الأثداء، في اللمس، المَلِيء المُسْتَدِير)، ووَصَفَ (أثداء الحَرِيم المُتَضَخِّمَة)، ونَعَت الثدي الذي أرضعه، و(ثدي الحُرِّيَة)، وجَعَل النَّفْطَ يَعْبَثُ بِأَثْدَاءِ الحَرِيم، يقول في قصيدة (التلميذ):

وكَيفَ يُدَرِّبْنَ أَثْدَاءَهُنَّ

عَلَى الكَرِّ وَالفَرّ ..

والغَزْو والسَّلْب ..

والسِّلْم والحَرْب ..

والمَوت في سَاحَةِ الكِبْرِيَاء.[٢٦٨]

ولَعَلَّ تِكْرَار تصويره للنَّهْدِ فِي شِعْرِهِ السِّيَاسِيّ يَعُود إِلَى أُمِّه، التي ظَلَّتْ تُرْضِعُهُ حَتَّى سن السابعة، وتلك الفترة الطويلة، غير الشائعة في الرَّضَاعَة، أَبْقَتْ علاقة الطفل وَطِيدَة مع الأُمّ، وظَلَّ النَّهْد في حياة الطفل مصدرًا للمعرفة، ويَنْبُوعًا للدفء والأمان، ورمزًا للاشتياق إلى مرحلة فَاضَ فيها الحبّ.[٢٦٩]

ثَالِثًا: مَزْج السِّيَاسَة بِالجِنْس:

أَوضَحَ فرويد أن القصائد الشعريَّة لا تتوقف عند النصِّ المكتوب؛ فلنا أَنْ نَتَأَمَّلَ ما يُمْكِنُ أَنْ يُوحِي به النصّ، والنزعات الجِنْسِيَّة المستترة وراء الألفاظ.

وهذا ما انطبق على شعر نِزَار السياسيّ؛ فهو يتحدث عن قضايا سياسيَّة بألفاظ جنسيَّة نتجت من دوافع لبيدية مُسْتَتِرَة، ويمكننا استنتاج النزعة الجِنْسِيَّة المُسْتَتِرَة عنده من خلال ألفاظه الجِنْسِيَّة الواضحة في شعره السياسيّ، لقد مزج السياسة والجنس معًا، ولكنه ما قاده إلى ذلك إلا انشغال الذِّهْن بهما؛ فبَدَتْ اللوحة متكاملة، وغَدَا الجنس - «بِمَا فيه مِنْ بَذْلِ حَرَكَاتٍ مُعَيَّنة، وامتلاك، وعلاقات غير مُتَكَافِئَة، واستهلاك قدرات، وحالة سلب لحظة العُنْف»[٢٧٠] سُلْطَة سِيَاسِيَّة قَاهِرَة؛ ذلك أَنَّهُ «في دَولَةِ الحاكم المُسْتَبِدّ، تختلط الذُّكُورة بالأُنُوثَة، يَضِيعُ الفَاصِل ... العَبْد الفَحْل صورة حاكميَّة غرائزيَّة، المرأة ضياع معالم الجنسانيَّة وتشوُّهها، ساحة متجلية لِكُلِّ ما يجلو تاريخًا مِنْ عُنْف وقَمْع واغتصاب ونَهْب وهَدْر معنى، إعلام عن انهيار وَشِيك لِدَولَة ... شخصياته مَقْهُورَة حَتَّى النُّخَاع، ومَصْدُومَة حَتَّى المستحيل؛ ولذلك يَغْدُو عالَم الانفلات الجسديّ بيانًا عميق المَغْزَى عن مُجْتَمَعٍ يُمَارِسُ فيه النَّخْرُ فعله مِنْ كُلِّ جِهَة».[٢٧١]

فنِزَار العاشق الثائر هو نفسه السياسيّ؛ فكان لزامًا أن تَبْرُزَ النزعة الجِنْسِيَّة في شعر نِزَار السياسيّ، وخير دليل على نزعته الجِنْسِيَّة أَنَّهُ حَتَّى في ثورته السياسيَّة رَفَضَ مُحَاكَمَة أهل الهوى، لقد استغل «المَكْبُوت الجِنْسِيّ لدى المتلقي ليُبْرِزَ معانيه السياسيَّة، وفي هذا حيلة ماكرة لشاعر ذَكِيّ؛ مِمَّا نَرَاهُ فِي: (التهام النساء، مُوَاعَدَة الأُنْثَى، قَبَائِل لَيسَتْ تُفَرِّقُ مَا بَينَ لَحْم النِّسَاء»[٢٧٢]

لقد برزت النزعة الجِنْسِيَّة عنده، وتفاخر مُتَبَاهِيًا بها، وأثبتها لنفسه، ووَسَمَ الذين عَابُوا عليه ذلك بالأغبياء، إِنَّهُ يُوَضِّحُ لِقُرَّاءِ شِعْرِهِ أَنَّهُ فِي أَشْعَارِه، ومنها السياسيَّة، تَغَنَّى بِحَبِيبَتِهِ، وَكَتَبَ عَنْهَا؛ حَتَّى اتَّهَمَهُ بَعْضُ المُتَشَدِّدِينَ بِالخُرُوج عَنْ تَعَالِيم الدِّين، ولكنه يَرَى أَنَّ الدَّعْوَةَ إلى الفضيلة ليست مُهِمَّة الفن، بل مُهِمَّة الأديان وعِلْم الأخلاق؛ فنجده يَتَحَدَّث فِي شِعْرِهِ عَنِ الحَبِيبة ومَوَاضِع اللَّذَّة الحِسِّيَّة، وهي في أصلها ألفاظ جنسيَّة استخدمها للتعبير عن قضايا سياسيَّة؛ فَشِعْرُهُ السياسيّ مصبوغ بالنزعة الجِنْسِيَّة الصريحة؛ حَتَّى إن بعض القصائد مُنِعَتْ مِنَ النَّشْرِ، كـ(دكتوراة شرف في كيمياء الحجر).

يقول جهاد فاضل عن نزار: «في الأربعينيات والخمسينيات بدأ بالجِنْس فخَصَّصَ له كُلّ شعره، وعندما سَيطَر سَيطَرَةً تَامَّة على جَبْهَة المُرَاهِقِينَ، فَتَحَ جَبْهَةً جديدة هي جبهة الشعر السياسيّ. وحَتَّى في هذا الشعر السياسيّ، ومنذ بدايته، كانت العين (محمَّرة) على العَرَب، و(خبز وحشيش وقمر) و(هوامش على دفتر النكسة) وسواهما، شِعْر إِنْ لَمْ يَكُنْ نَسَبُهُ الشُّعُوبِيّ يومها واضحًا، إلا أنه كان الأب الشرعيّ للقصائد الشعوبيَّة الصريحة الواردة في (قصائد مغضوب عليها)، أو لَحِقَتْهَا».[٢٧٣]

لقد امتزج نِزَار مع مأساة حُبّه ووطنه ؛ فَأَشْعَلَ مِنْ نَهْدِ مَعْشُوقَتِهِ فَتِيلاً، وأَلْقَاهُ قَنَادِيل للانفجار في أي لَحْظَة عَلَى دَرْبِ الطُّغَاة وَالجَبَابِرَة، واهتم بِحَقّ المُوَاطِن السِّيَاسِي، وَحَقّه العَاطِفِي، حِينَ أَخَذَ عَلَى عَاتِقِهِ، وَحْدَهُ، مسؤولية تَحرير المَرْأَة[٢٧٤]فنجده يقول في قصيدة (جميلة بوحيرد):

فِي الصَّدْرِ اسْتَوطَنَ زَوجُ حَمَام

وَالثَّغْرُ الرَّاقِدُ غُصْنُ سَلام

...

أَجْمَلُ طِفْلَهْ

...

أَكَلَتْ مِنْ نَهْدَيهَا الأَغْلال

...

أُنْثَى .. كَالشَّمْعَة مَصْلُوبَه

...

وَسَجَائِرُ تُطْفَأُ فِي النَّهْدَين

...

يَلْهُو بِأُنْثَى دُونَ إِزَار

...

الجَسَدُ الخَمْرِيّ الأَسْمَر

تَنْفُضُه لَمَسَاتُ التَّيَّار

وَحُرُوقٌ فِي الثَّدْيِ الأَيسَر

فِي الحَلَمَةِ ..

فِي .. فِي .. يا للعار .. [٢٧٥]

لقد استطاع أن ينقل ملامح بُطُولَة تِلْكَ المُنَاضلة البَاسلة، التي دَوَّخَت الشمس، وجَرَحَتْ أَبْعَاد الأَبْعَاد، وجَلَدَتْ مقصلة الجَلاَّد؛ لأَنَّها ثَائِرَة مِن جَبَلِ الأَطْلَس؛ فقد ذَاقَتْ صُنُوفًا من العذاب الجِنْسِيّ، عندما أُجْبِرَتْ على خَلْع ملابسها، وأُطْفِئَتْ السجائر في نَهْدَيهَا، التي أكلت الأغلال منها، وأُصِيبَتْ بِحُرُوقٍ فِي حَلَمَة الثَّدْي الأيسر، وفي مواضع أخرى من الجسم استحيا الشاعر من التصريح بها.

وقد اتضحت، في هذا المقطع، نزعة نِزَار الجِنْسِيَّة بألفاظٍ صريحة؛ فلو لم يكن لديه نزعة جنسيَّة لاستعار ألفاظًا أخرى وكلمات بديلة، وكانت ستؤدي المعنى وبالقُوَّة نفسها، فلنفرض أَنَّهُ يُرِيدُ بالفعل أنهم أحرقوا نَهْدَهَا، كان يكفي قوله: (وسجائر تُطْفَأُ في النَّهْدين)، ولكنه فَصَّلَ بَعْدَ ذَلِكَ تفصيلاً، بِذِكْرِهِ الحَلَمَات؛ استجابةً لهوًى في نفسه، تَرَسَّخَ فِيهِ منذ الطُّفُولة، وعلى الرغم من أَنَّ موضوع القصيدة سياسيّ ثوريّ؛ فَإِنَّ هذا لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ إشباع نُهْمَتِهِ في وصف أعضاء جسدها، وتأمُّل مفاتنها، بوصفها أُنْثَى مثيرة، لها عَينَين كقِنْدِيلَي مَعْبد، وشَعْر عربيّ أسود.

يقول نزار في قصيدة (المُمَثِّلُون):

حِينَ يَصِيرُ الحُكْمُ فِي مَدِينَةٍ

نَوعًا مِنَ البِغَاءِ [٢٧٦]

يَنْعَى الحَالَ الذي وصلت إليه البلاد العربيَّة، التي تخضع لحاكم مُسْتَبِد؛ فقد تجاوز الأمرُ كُلَّ الحدود المسموح بها، وصار الحُكْم نَفْسَه نَوعًا من مُمَارَسَة المَرْأة الفُجُور، والتكسُّب به.

ويقول في القصيدة نفسها:

عَلَى يَدَيكُمْ أَصْبَحَتْ بِلادُنَا

امْرَأَةً مُبَاحَةً ..

فَأَلْفُ تُشْكَرُونْ .. [٢٧٧]

ويُتَابِعُ وصفه للحال البائس؛ فيقول:

الصُّوَرُ العَارِيَةُ النَّكْرَاءُ .. مَا تَغَيَّرَتْ

وَالنَّاسُ يَلْهَثُونْ ..

تَحْتَ سِيَاطِ الجِنْسِ يَلْهَثُونْ ..

...

النَّاسُ كَالثِّيرَانِ فِي بِلادِنا،

بِالأَحْمَرِ الفَاقِعِ يُؤْخَذُونْ ...

...

وَضَاعَ كُلُّ شَيء ..

الشَّرَفُ الرَّفِيعُ، [٢٧٨]

إنه يتحدث عن مأساة وطن، لقد اعتاد الناس رؤية الصُّوَر العَارِيَة؛ حتى إنها صارت مألوفة، غير مستنكرة، بل صاروا يلهثون خلفها؛ رغبةً في مُمَارَسة الجِنْس فِعْلِيًّا؛ لأنهم مثل الثيران، يُهَيِّجُهُمْ اللَّون الأَحْمَر الفَاقِع؛ فَيَنْدَفِعُونَ لاهِثُون خَلْفَه بِلا هَوَادَة؛ فقد ضَاعَ الشرف الرفيع، وبضياعه ضَاعَ كُلّ شَيء.

ويقول في قصيدة (شعراء الأرض المُحْتَلَّة):

وابنة دايانَ كمُومِسَةٍ ..

تَتَعَهَّرُ فِي ظِلِّ المِحْرَاب [٢٧٩]

يخاطبُ شُعَرَاءَ الأرض المُحْتَلَّة، بعد أَنْ أُنْتُهِكَتْ حُرُمات القدس، وَوَقَفَتْ ابنةُ دايان البَغِيّ، تُمَارِسُ الفُحْشَ في ظل المِحْراب، وفي الجانب المقابل وَقَفَ الجميع يَنْظُرُون من بعيدٍ، وقد علاهم الصَّمْتُ الرَّهِيب.

ويقول في قصيدة (مَنْشُورَات فِدَائِيَّة عَلَى جُدْرَان إِسْرَائِيل):

سَلامُكُمْ مُمَزَّقٌ ..

وَبَيْتُكُمْ مُطَوَّقٌ

كَبَيتِ أَيّ زَانِيَهْ .. [٢٨٠]

يُخْبِرُ جُنُودَ إِسْرَائيل، الذين يحتلونَ الأراضي الفلسطينيَّة، أَنَّ بَيتَهُمْ معروفٌ للجميع في بِقَاعِ الأَرْضِ القَاصِيَة وَالدَّانِيَة، كَبَيتِ أَيّ زانية يعرفُهُ جميع الزُّنَاة.

ويقول في ختام قصيدة (عرس الخُيُول الفلسطينيَّة):

وَكَانَ الجَوَاسِيسُ يَصْطَحِبُونَ النِّسَاءَ علانية،

ويَرْتَشِفُونَ نَبِيذَ البِقَاع ..

ويستمتعون بشمس شواطئنا الساحرة

وكانت فلسطين بين المحيط .. وبين الخليج ..

تُفَتِّشُ عَنْ غُرْفَةٍ شَاغِرَة .. [٢٨١]

يَرْثِي حَالَ الشعب الفلسطينيّ، لقد احتلَّ الجواسيس البلاد، وعَاثُوا فيها فسادًا، وصاروا يصطحبونَ النساء لِمُمَارَسَة الفُجُور علنًا، ويَحْتَسُونَ نبيذ البِقَاع عَلَى مَرْأى من الجميع.

ويقول في قصيدة (حِوَار مع مَلِك المَغُول):

يَا مَلِكَ المَغُولْ ..

...

يَا مُغْتَصِبَ الأَبْكَار [٢٨٢]

ويقول في قصيدة (حِوَار مَعَ عَرَبِيّ أَضَاعَ فَرَسَه):

لَو يُحْصَى كُلُّ المُنْحَرِفِينَ ..

وَكُلُّ سَمَاسِرَةِ الأَثْدَاءْ

لَو تُلْغَى أَجْهِزَةُ التَّكْيِيفِ .. مِنَ الغُرَفِ الحَمْرَاءْ [٢٨٣]

يَتَمَنَّى أَنْ يُحْصَى كُلُّ المُنْحَرِفِينَ؛ وَعِنْدَئِذٍ يَعْجَزُونَ عَنْ مُمَارَسة الجَنْس، وأَنْ يُحْصَى كُلُّ سَمَاسرة الأثداء؛ فَتَبُور تِجَارتهم، وأَنْ تُلْغَى أجهزة التكييف مِنَ الغُرَفِ الحَمْرَاء؛ فَيَشُقّ عَلَى النَّاس مُمَارسة الجِنْس؛ فينصرفون عنه قَهْرًا.

ويقول في قصيدة (إِلَى الجُنْدِي العَرَبِيّ المَجْهُول):

لَو قَرَأوا ..

- يَا سَيِّدِي القَائِدَ وَهُمْ يَنَامُونَ عَلَى صُدُورِ مَحْظِيَّاتِهِمْ –

بعض الذي كتبت

...

وَبَعْضُهُمْ ..

قَدْ أَغْلَقَ البَابَ عَلَى حَرِيمِهِ ..

وَمُنْتَهَى نِضَالَهُ ..

جَارِيَةٌ فِي التَّخْت !! .. [٢٨٤]

يَتَحَسَّرُ على حال جُنُودِ العَرَب؛ فلو أنهم قرأوا سُطُورَ مَجْد هذا الجنديّ المجهول، وبَذَلُوا نِصْفَ مَا بَذَلَهُ مِنْ جُهْد؛ لتغيَّر الحال، ونَهَضَت الأُمَّة العَرَبِيَّة، ولكن كيف ذلك، وكُلٌّ مِنْهُم يَهِيمُ بِلَيلاه، ويَغْرَقُ فِي مَلَذَّاتِهِ وشَهَوَاتِهِ.

ويقول عن بَنِي الأحمر في قصيدة (أَحْزَان فِي الأَنْدَلُس):

لَمْ يَبْقَ إِلاَّ قَصْرُهُمْ

كَامْرَأَةٍ مِنَ الرُّخَامِ عَارِيَة .. [٢٨٥]

وعندما يتحدث إلى بيروت بعد الحرب يتحدث إليها وكأنها أُنْثَى مُغْتَصَبَة، اغتصبها العرب أنفسهم، يقول في قصيدة (يا ست الدنيا يا بيروت):

مَاذَا نَتَكَلَّمُ يَا بَيرُوتْ ..

وَفِي عَينَيكِ خُلاصَةُ حُزْنِ البَشَرِيَّهْ

وَعَلَى نَهْدَيكِ المُحْتَرِقَين .. رَمَادُ الحَرْبِ الأَهْلِيَّهْ

...

يَا سِتَّ الدُّنْيَا يَا بَيرُوتْ ..

...

نَعْتَرِفُ الآنَ .. بِأَنَّكِ كُنْتِ خَلِيلتنا

نَأْوِي لِفِرَاشِكِ طُولَ اللَّيلِ ...

وَعِنْدَ الفَجْرِ، نُهَاجِرُ كَالبَدوِ الرُّحَّلْ

...

نَعْتَرِفُ أَمَامَ اللهِ العَادِلِ ...

أَنَّا رَاوَدْنَاكِ ..

وَعَاشَرْنَاكِ ..

وضاجعناك .. [٢٨٦]

جعل بيروت خليلته، التي يَأْوِي إلى فِرَاشِها ليلاً، ويغادرها عند الفجر؛ فكثيرًا ما رَاوَدَها، وعَاشرها، وضَاجَعَهَا.

ويقول في قصيدة (سبع رسائل ضائعة في بريد بيروت):

أَلْغَيتِ الخَطَّ الحَلِيبِيّ الذِي يَنْزِلُ مِنْ ثَدْيِكِ ..

نَحْوَ الخَاصِرَة ..

...

أَينَ أَنْتِ الآنَ .. يَا مَنْ لَمْ أَجِدْ فِي هَذِهِ الغَابَة ..

صَدْرًا يَحْتَوِينِي .. غَيرَ أنتِ ؟ ..

...

هَذِهِ الوَرْدِيَّةُ الجِسْم

التِي تَلْبَسُ فِي مِعْصَمِهَا البَحْرَ سِوَارا

كَمْ قَطَفْنَا البُنَّ مِنْ أَشْجَارِ نَهْدَيها .. [٢٨٧]

صَوَّرَ بيروت في صُورَة امرأةٍ يعشقها، ولكنه أُجْبِرَ على مُغَادَرَتِهَا قَسْرًا، وعندما عَادَ إِلَيهَا وَجَدَ الحَالَ قَدْ تَغَيَّرَ؛ فقد أَلْغَت الحَلِيبَ الذي يَنْزِلُ مِنْ ثَدْيِهَا؛ فَجَلَسَ يَتَذَكَّر الصَّدْرَ الذِي كثيرًا ما احْتَوَاه، وَقَطَفَ البُنَّ مِنْ شَجَرِ نَهْدَيهِ.

ويقول في قصيدة (بيروت مَحْظِيَّتكم .. بيروت حَبِيبَتِي):

سَامِحِينَا ..

إِنْ رَأَينَا دَمَكِ الوَرْدِيَّ يَنْسَابُ كَأَنْهَارِ العَقِيقْ

وَتَفَرَّجْنَا عَلَى فِعْلِ الزِّنَا ..

...

وَغَسَلْنَا الحُزْنَ بِالخَمْرَةِ، وَالجِنْسِ ، وَقَاعَاتِ القِمَارْ

...

طَلَبُوا ..

أَنْ نَقْطَعَ الثَّدْيَ الذِي مِنْ خَيرِهِ، نَحْنُ رَضِعْنَا .. [٢٨٨]

ويقول في ختام القصيدة نفسها:

نَلْثِمُ الأَرْضَ التِي أَحْجَارُهَا تَكْتُبُ شِعْرًا ..

وَالتِي أَشْجَارُهَا تَكْتُبُ شِعْرًا ..

وَالتِي حِيطَانُهَا تَكْتُبُ شِعْرًا ..

وَأَخَذْنَاكِ إِلَى الصَّدْرِ..

حُقُولاً .. وَعَصَافِيرَ .. وَكُورِنيشًا .. وَبَحْرا ..

وَصَرَخْنَا كَالمَجَانِينِ عَلَى سَطْحِ السَّفِينَهْ :

أَنْتِ بَيرُوتْ ..

وَلا بَيرُوتُ أُخْرَى [٢٨٩]

يَطْلُبُ مِنْ بَيرُوت أَنْ تُسَامِحَهُ على ما ارتكبه مِنْ جَرَائِمٍ في حَقِّهَا؛ فقد رأى دَمَهَا المُنْسَابُ كَالأَنْهَارِ، واكتفي بالنَّظَرِ إلى فِعْلِ الزِّنَا، وغَسَلَ حُزْنَهُ بِالجِنْسِ، وعندما طلبوا منه أن يقطعوا صدر بيروت الذي كثيرًا ما رَضِعَ منه اعتذر.

ويقول في قصيدة (أنا يا صديقة مُتْعَبٌ بِعُرُوبَتِي):

إِنّي لأَشْعُرُ بِالدُّوَارِ .. فَنَاهِد

لِي يَطْمَئِن .. وَنَاهِد يَرْتَاب

...

أَيَصُدُّنِي نَهْدٌ تَعِبْتُ بِرَسْمِهِ ؟

وَتَخُونني الأَقْرَاطُ وَالأَثْوَاب ؟

...

أُولَى ضَحَايَانَا هُمُ الكُتَّاب

يُعْطُونَنَا الفَرَحَ الجَمِيلَ .. وَحَظَّهُمْ

حَظَّ البَغَايَا .. مَا لَهُنَّ ثَوَاب

...

فِي عَصْرِ زَيتِ الكَاز .. يَطْلُبُ شَاعِر

ثَوبًا ، وتَرْفُلُ بِالحَرِيرِ قِحَاب !!!

...

وَالعَالَمُ العَرَبِيُّ يَخْزِنُ نفطه

فِي خِصْيَتَيهِ .. وَرَبُّكَ الوَهَّاب [٢٩٠]

ويقول في قصيدة (المُهَرْوِلُون):

سَقَطَتْ آخِرُ مَحْظِيَّاتنا

فِي يَدِ الرُّومِ؛ فَعَنْ مَاذَا نُدَافِعْ ؟

لَمْ يَعُدْ فِي قَصْرِنَا جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ

تَصْنَعُ القَهْوَةَ وَالجِنْسَ ..

فَعَنْ مَاذَا نُدَافِعْ ؟ ؟

...

لَيسَ صُلْحًا ،

ذَلِكَ الصُّلْحُ الذِي أُدْخِلَ كَالخنجر فِينَا ..

إِنَّهُ فِعْلُ اغْتِصَابْ !! .. [٢٩١]

ويقول في قصيدة (بِلْقِيس):

سَأَقُولُ فِي التَّحْقِيقِ:

كَيفَ أَمِيرَتِي اغْتَصَبَتْ [٢٩٢]

ويقول في قصيدة (مِنْ مُفَكِّرَة عَاشِق دِمَشْقِيّ):

فَرَشْتُ فَوقَ ثَرَاكِ الطَّاهِرِ الهُدُبَا

فَيَا دِمَشْقُ .. لِمَاذَا نَبْدَأُ العَتْبَا ؟

حَبِيبَتِي أَنْتِ .. فَاسْتَلْقِي كَأُغْنِيَةٍ

عَلَى ذِرَاعِي، وَلا تَسْتَوضِحِي السَّبَبَا

أَنْتِ النِّسَاءَ جَمِيعًا مَا مِنْ امْرَأَةٍ

أَحْبَبْتُ بَعْدَكِ إِلاَّ خِلْتُهَا كَذِبَا

...

أَتَيتُ مِنْ رَحِمِ الأَحْزَانِ ... يَا وَطَنِي

أُقَبِّلُ الأَرْضَ وَالأَبْوَابَ وَالشُّهُبَا

حُبِّي هُنَا .. وَحَبِيبَاتِي وُلِدْنَ هُنَا

فَمَنْ يُعِيدُ لِيَ العُمْرَ الذِي ذَهَبَا ؟

أَنَا قَبِيلَةُ عُشَّاقٍ بِكَامِلِهَا

وَمِنْ دُمُوعِي سَقَيتُ البَحْرَ وَالسُّحُبَا

فَكُلُّ صَفْصَافَةٍ حَوَّلْتُهَا امْرَأَةً

وَكُلُّ مِئْذَنَةٍ رَصَّعْتُهَا ذَهَبَا ..

هَذِي البَسَاتِينُ كَانَتْ بَينَ أَمْتِعَتِي

لَمَّا ارْتَحَلْتُ عَنِ الفَيحَاءِ مُغْتَرِبا

فَلا قَمِيصَ مِنَ القُمْصَانِ أَلْبَسَهُ

إِلاَّ وَجَدْتُ عَلَى خِيطَانِهِ عِنَبَا

...

عَاشُوا عَلَى هَامِشِ الأَحْدَاثِ، مَا انْتَفَضُوا

لِلأَرْضِ مَنْهُوبَةٌ، وَالعِرْضِ مُغْتَصَبَا

وَخَلَّفُوا القُدْسَ فَوقَ الوَحْلِ عَارِيَةً

تُبِيحُ عِزَّةَ نَهْدَيهَا لِمَنْ رَغِبَا

ويقول لفلسطين:

تَلَفَّتِي تَجِدِينَا فِي مَبَاذِلِنَا ..

مَنْ يَعْبُدُ الجِنْسَ، أَو مَنْ يَعْبُدُ الذَّهَبَا

فَوَاحِدُ أَعْمَتِ النُّعْمَى بَصِيرَتَهُ

فَلِلْخَنَا وَالغَوَانِي كُلُّ مَا وُهِبَا .. [٢٩٣]

يستخدم نزار في شعره الرموز والتعبيرات والألفاظ الجِنْسِيَّة، التي من خلالها يُشْبِعُ شهوته الجِنْسِيَّة؛ فنجده يقول: (أنت النساء جميعًا - أُقَبِّلُ الأَرْضَ وَالأَبْوَابَ وَالشُّهُبَا – العِرْضِ مُغْتَصَبَا - القُدْس فَوقَ الوَحْلِ عَارِيَةً)، لقد تَوَالَتْ ألفاظُهُ ورموزُهُ الجِنْسِيَّة بوصفها تسويةً لرغباته الجِنْسِيَّة؛ فهو يُشْبِعُ رغباته من خلال ألفاظه هذه؛ فقد استخدم ألفاظًا ورموزًا وصورًا، وصَنع منها بديلاً من الفعل الجنسيّ الذي يَرْغب فيه؛ فهو يستحضر المرأة، ويَذْكُر المواضع الفاحشة في جسمها، وذلك كُلّه من أجل إشباع رغباته الجِنْسِيَّة، ومن ثَمَّ ظهرت النزعة الجِنْسِيَّة، بوضوحٍ، في شِعْرِهِ السياسيّ.

يقول في قصيدة (تَقْرِير سِرِّي جِدًّا .. مِنْ بِلاد قَمْعِسْتَانْ):

جَمِيعُهُمْ .. تَضَخَّمَتْ أَثْدَاؤُهُمْ

وَأَصْبَحُوا نِسْوَانْ

جَمِيعُهُمْ يَأْتِيهُمُ الحَيضُ، وَمَشْغُولُونَ بِالحَمْلِ

وَبِالرَّضَاعَهْ ..

جَمِيعُهُمْ قَدْ ذَبَحُوا خُيُولَهُمْ

وَارْتَهَنُوا سُيُوفَهُمْ

وَقَدَّمُوا نِسَاءَهُمْ هَدِيَّةً لِقَائِدِ الرُّومَانْ [٢٩٤]

إنه يتحدث عن حُكَّام العرب، الذين فَقَدُوا نَخْوَتهم، وتَخَلَّوا عن رجولتهم، وصاروا نِسْوَان، أَثْدَاؤُهُم مُتَضَخِّمَة، وَيَأْتِيهم الحَيض، ومَشْغُولُونَ بِالحَمْلِ وَالرَّضَاعَة، وانتهى بهم الأمر إلى أن قَدَّمُوا زوجاتهم هَدِيَّة لقائد الرُّومَان؛ كي يُمَارس الفاحشة مَعَهُنَّ!

ويستكمل وصف هؤلاء الحُكَّام، الذِينَ تَخَنَّثُوا، وَتَكَحَّلوا، وتَعَطَّرُوا، يقول:

تَمَايَلُوا أَغْصَانَ خَيزُرَانْ

حَتَّى تَظُنَّ خَالِدًا .. سُوزَانْ [٢٩٥]

...

جَمِيعُهُمْ قَدْ دَخَلُوا جُحُورَهُمْ

واسْتَمْتَعُوا بِالمِسْكِ، وَالنِّسَاءِ، وَالرَّيحَانْ

...

وَوَحْدَهُ لُبْنَانْ

يَصْفَعُ أَمْرِيكَا بِلا هَوَادَةٍ

وَيُشْعِلُ المِيَاهَ وَالشُّطْآنَ

فِي حِينِ أَلْفُ حَاكِمٍ مُؤَمْرِكٍ
يَأْخُذُهَا بِالصَّدْرِ وَالأَحْضَانْ [٢٩٦]

لَمْ يَنْسَ نِزَار قَبَّاني عادته؛ فمزج بين السياسة والجنس؛ فنراه يقول: (يَأْخُذُهَا بِالصَّدْرِ وَالأَحْضَانْ)؛ مِمَّا يَدُلُّ على تَعَطُّشِهِ لممارسة هذه الأمور على أرض الواقع، بعد أن برزت -بِصُورَةٍ مُلِحَّة- في شعره السياسيّ.

ثُمَّ يَقُولُ بِنَبْرَةٍ تَهَكُّمِيَّة سَاخِرَة، واصفًا هذه الدُّوَيلَة العَجِيبة، التي يُقَرْفِصُ مُلُوكَهَا فَوقَ رَقَبَةِ الشُّعُوبِ بِالوِرَاثَة:

وَرَغْبَةُ الزَّوجَينِ فِي الإِنْجَابِ
تَحْتَاجُ إِلَى قَرَارْ [٢٩٧]

لا يستطع نِزَار قَبَّاني أن يتخلى عن عادته؛ فنراه يتحدث عن الممارسة الجِنْسِيَّة بين الزوجين؛ بُغْيَةَ إِنْجَابِ الأطفال، وهو في سياق انتقاد سياسة الحُكَّام العَرَب، وإعلان العصيان باسم الجماهير التي تُرْكَبُ كَالبَعِيرِ من مَشْرِقِ الشَّمْسِ إلى مَغْرِبِهَا:

بِاسْمِ المَلايِينِ التِي تَجْهَلُ حَتَّى الآنَ مَا هُوَ النَّهَارْ

...

وَمَا هُوَ الفَارِقُ بَينَ النَّهْدِ وَالرُّمَّانَهْ [٢٩٨]

لقد جعل نفسه:

النَّاطِقُ الرَّسْمِيُّ عَنْ خَمْسِينَ مِلْيُونًا مِنَ العُشَّاقْ [٢٩٩]

ونَالَ النَّتِيجَةَ المُتَوَقَّعَة؛ فقد مُنِعَتْ قَصَائِدُهُ فِي المُدُنِ التِي تَنَامُ فَوقَ المِلْحِ وَالحِجَارَة[٣٠٠]

ويقول في قصيدة (هَجَمَ النَّفْطُ مِثْلَ ذِئْبٍ عَلَينَا):

وَقَطَعْنَا صَلاتَنَا .. وَاقْتَنَعْنَا
أَنَّ مَجْدَ الغَنِيِّ فِي خِصْيَتَيهِ [٣٠١]

يتحدثُ عن خِصْيَة الغَنِيّ، ويجعلها مَنَاطَ المَجْدِ والافتخار -ولَعَلَّهُ نَظَرَ إلى المُتَنَبِّي (ت٣٥٤هـ)، الذي أَقَرَّ بعد رؤية كافور الخَصِيّ حقيقةً مُؤَدَّاهَا: أَن النُّهَى فِي الخِصْيَتَينِ- فهو يُدْرِجُ في قصائده السياسيَّة ضد الحُكَّام المُسْتَبِدِينَ: (جَمِيعَ لَعْنَاتِ العَرَبْ)[٣٠٢]

ويقول في قصيدة (السمفونية الجنوبيَّة الخامسة) إن التاريخَ لا بُدَّ أَنْ يَذْكُرَ -دَومًا- قَرْيَة جَنُوبِيَّة صَغِيرَة:

قَدْ دَافَعَتْ بِصَدْرِهَا
عَنْ شَرَفِ الأَرْضِ، وَعَنْ كَرَامَةِ العُرُوبَهْ [٣٠٣]

إن قرية (مَعْرَكَة) قد دافعت -عن شرف الأرض- بصَدْرها، ولا تخفى دلالة الألفاظ الجِنْسِيَّة الصريحة التي يحرص نزار على دمجها في نسيج شعره السياسيّ.

ودون استعانة الفَنَّان المُبْدِع بخبراته وتجاربه ومخزونه الفكريّ والثقافيّ والحضاريّ، ودون «(حَبَّة الحُمْق) التي تجعل مِنَ الفَنَّان في نظر الجُمْهُور نوعًا من الطِّفْل الكَبِير أو المُنْحَرف الذي لا يَضُرُّ، لن يكون هناك إطلاقًا أي جمالٍ مُمْكن»[٣٠٤]

رابعًا: قِرَاءَة فِي قَصِيدة (جريمة شَرَفْ أَمَام المَحَاكِم العَرَبِيَّة):

تَتَجَلَّى النزعة الجنسية بوضوح في العنوان المُثِير الذي خَلَعَه نِزَار على قصيدته السياسيَّة (جريمة شَرَفْ أَمَام المَحَاكِم العَرَبِيَّة)؛ الّتي تُعَدُّ «من أكثر قصائده السياسيَّة اشتباكًا بالمفردات الخاصَّة بالمرأة، وبخاصة في الجانب غير الشرعي من علاقات المرأة»؛ فهي تزخر بالمشاهد الجنسيَّة الصريحة غير المألوفة في الشعر السياسي، وبها صور جنسيَّة، وكلمات إيروتيكية، وتتسم بالجرأة الشديدة في تسجيل لحظات الشَّبَق.

يقول في مستهل قصيدته:

... وَفَقَدْتَ يَا وَطَنِي البَكَارَهْ

لَمْ يَكْتَرِثْ أَحَدٌ ..

وَسُجِّلَتِ الجَرِيمَةُ ضِدَّ مَجْهُولٍ،

وَأُرْخِيَتِ السِّتَارَهْ ..

يستثير قوله (فقدان البكارة) في الذهن إيحاءات جنسيَّة مباشرة، ترتبط بمفردات (الدم، والزنا، والاغتصاب، والشَّرَف، والطَّهَارة، والعِفَّة)؛ فهو يقصد أن وطنه فقد حُرِّيَته، ولكنه استخدم هذا التعبير لِمَا يَزْخَرُ به من رَغَبَاتٍ جِنْسِيَّة مَكْبُوتَة.

ومِمَّا يُثِيرُ التَّعَجُّب والحَسْرَة مَعًا، أنه بعدما فَقَدَ الوَطَن العَزِيز بَكَارَته، كان رد الفعل إزاء هذا العُدْوَان الغَاشِم: (لَمْ يَكْتَرِثْ أَحَدٌ)، (وَسُجِّلَتِ الجَرِيمَةُ ضِدَّ مَجْهُولٍ)، (وَأُرْخِيَتِ السِّتَارَهْ).

ثم يقول:

نَسِيَتْ قَبَائِلُنَا أَظَافِرَهَا،

تَشَابَهَتِ الأُنُوثَةُ وَالذُّكُورَةُ فِي وَظَائِفِهَا،

تَحَوَّلَتِ الخُيُولُ إِلَى حِجَارَه ..

لَمْ تَبْقَ لِلأَمْوَاسِ فَائِدَةٌ ..

وَلا لِلقَتْلِ فَائِدَةٌ ..

فَإِنَّ اللَّحْمَ قَدْ فَقَدَ الإِثَارَهْ ..

ينتقل إلى محاولة استثارة نَخْوَة الرَّجُل العربيّ الثائر، الذي يرفض الاستكانة والخُضُوع، والإقامة على الذُّلّ والهَوَان، ويُوَبِّخُهُ لأنه نَسِيَ أن عنده أظافر حادَّة، يمكنه بواسطتها الأخذ بالثأر، وإسكان لهيب الغضب، ولكن هيهات! لقد صار الرِّجَال كالنِّسْوَان، وتشابهت الأُنُوثَةُ وَالذُّكُورَةُ فِي وَظَائِفِهَا، وصارت الخُيُول حجارة جامدة ثابتة، والأمواس حديدًا كليلاً، ولم يَهُبُّ أحدٌ للقتل ومَحْو العار؛ لهوان هذه الجريمة الشنعاء على النفوس؛ وتَبَلُّد المشاعر، وسيطرة اللامبالاة؛ فَإِنَّ اللَّحْمَ قَدْ فَقَدَ الإِثَارَة!

ثم يقول:

دَخَلُوا عَلَينَا

كَانَ عَنْتَرَةُ يَبِيعُ حِصَانَهُ بِلِفَافَتَي تَبْغ،

وَقُمْصَانٍ مُشَجَّرَةٍ،

وَمَعْجُونٍ جَدِيدٍ لِلحِلاقَةِ،

كَانَ عَنْتَرَةُ يَبِيعُ الجَاهِلِيَّه ..

يستكمل نزار قِصَّتَهُ المُثِيرَة لِلأَسَى، لقد هاجمهم الأعداء، ووَقَفَ الأَبْطَالُ خانعين، لم تَتَحَرَّكْ مُرُوءتهم للنَّجْدَة، ولم يَهُبُّوا للنُّصْرَة؛ حَتَّى عنترة، ذلك البطل الجاهليّ المِغْوَار، تَبَدَّلَ حَالُهُ، وانغمس في الحياة العصرية الجديدة، واستبدل بحِصَانِهِ لِفَافَتَي تَبْغ، وقُمْصَان مُشَجَّرَة، ومَعْجُون جَدِيد لِلحِلاقة، لقد ترك كُلَّ ما يربطه بالحياة الجاهلية الخَشِنَة، وبحث عَمَّا يُحَقِّقُ له تمام المُتْعَة واللَّذَّة، ورآه في التبغ، والملابس المُلَوَّنة، وحَلْق اللِّحْيَة؛ بُغْيَة الاستعداد للتمتُّع بمجالسة المرأة، بدلاً مِنْ مقارعة الخطوب!

ثم يقول:

دَخَلُوا عَلَينَا ..

كَانَ إِخْوَانُ القَتِيلَةِ يَشْرَبُونَ الجِنَّ بِاللَّيمُونِ،

يَصْطَافُونَ فِي لُبْنَانَ،

يرتاحون في أسوانَ،

يَبْتَاعُونَ مِنْ (خَانِ الخَلِيلِيّ) الخَوَاتِمَ ..

وَالأَسَاوِرَ ..

وَالعُيُونَ الفَاطِمِيَّهْ ..

كَرَّرَ نِزَار قوله: (دَخَلُوا عَلَينَا)، ولا تنفصل هذه العبارة عن «السياق ذي الأبعاد النسائيَّة، وما يتعلق بها من الدخول بالزوجة، كما هو شائع في سياق الزواج»[٣٠٧]

لقد دخل عليهم إخوان القتيلة، الذين تربطهم بها علاقة الدم والقُرْبَى، ورأوا أختهم المُغْتَصَبة مقتولة مُمَزَّقة إِرْبًا إِرْبًا على الأرض؛ فما كان منهم إلا أن شَرِبُوا الخمور، وذهبوا لقضاء الصيف في لبنان، والشتاء في أسوان، والتَّنَزُّه في خان الخليلي لشراء الخواتم والأساور؛ بغية التمتُّع بالعُيُون الفَاطِمِيَّة السَّاحِرَة.

ثم يقول:

مَا زَالَ يَكْتُبُ شِعْرَهُ العُذْرِيّ، قَيسٌ

وَاليَهُودُ تَسَرَّبُوا لِفِرَاشِ لَيلَى العَامِرِيَّهْ

حَتَّى كِلابُ الحَيِّ لَمْ تَنْبَحْ

وَلَمْ تُطْلِقْ عَلَى الزَّانِي رُصَاصَةَ بُنْدُقِيَّهْ

لقد انشغل كُلُّ فَرْدٍ بِمُتْعَتِهِ الشخصيَّة، ولم يُلْقِ أدنى اهتمام بما يَحْدُثُ لأخيه المُسْلِم، أو زوجه، أو وطنه؛ فاستمر قَيس يُغَنِّي، وليس غريبًا أن يقترن القَتْل مَعَ الإِفْسَادِ فِي الأرض؛ فقد تَسَرَّبَ اليهود إلى فِرَاش ليلى، وانتهكوا الحُرُمَات، وسيطرت البلادة على الإنسان والكلاب؛ فلم ينبح كلاب الحي لإنقاذ هذه الأُنْثَى المغتصبة، ولم يُطْلِق الجنود عليهم رصاص البندقية، وكَأَنَّ أَمْرَ ليلى / الوطن لا يعنيهم!

ثم يقول:

(لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ!)

وَنَحْنُ ضَاجَعْنَا الغُزَاةَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ..

وَضَيَّعْنَا العَفَافَ .. ثَلاثَ مَرَّاتٍ ..

وَشَيَّعْنَا المُرُوءَةَ بِالمَرَاسِمِ، وَالطُّقُوسِ العَسْكَرِيَّهْ

(لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ!)

وَنَحْنُ غَيَّرْنَا شِهَادَتَنَا ..

وَأَنْكَرْنَا عِلاقَتَنَا ..

وَأَحْرَقْنَا مَلَفَّاتِ القَضِيَّهْ ..

ثم يلقي باللوم على نفسه وكل الشعوب العربية التي خَلَدَتْ إلى المُتْعَة بالنساء، وضَاجَعَت الغُزَاة، وضَيَّعَتِ العَفَاف، وأَحْرَقَتْ مَلَفَّات القضية !

ثم يقول:

- إِنَّ الجَرِيمَةَ عَاطِفِيَّهْ ..

- إِنَّ النِّسَاءَ جَمِيعَهُنَّ مُغَامِرَاتٌ، وَالشَّرِيعَة

عِنْدَنَا ضِدَّ الضَّحِيَّهْ ..

- يا سَادَتِي إِنَّ المُخَطَّطَ كُلَّهُ مِنْ صُنْعِ أَمْرِيكَا،

وَبُتْرُولُ الخَلِيجِ هُو الأَسَاسُ، وَكُلُّ مَا يَبْقَى

أُمُورٌ جَانِبِيَّهْ ..

- مَلْعُونَةٌ أُمُّ السِّيَاسَة ... نَحْنُ نُحِبُّ أزنافورَ،

وَالوسكيَّ بِالثَّلْجِ المُكَسَّر، وَالعُطُورَ الأَجْنَبِيَّهْ ..

- إِنَّ النِّسَاءَ بِنِصْفِ عَقْلٍ وَالشَّرِيعَةُ عِنْدَنَا ضِدَّ الضَّحِيَّهْ

...

- وَأَجْمَلُ الأَثْدَاءِ، فِي اللَّمْسِ، المَلِيءُ المُسْتَدِيرْ..

...

- إِنَّ السُّوِيداتِ أَحْسَنُ مَنْ يُمَارِسْنَ الهَوَى ..

- وَالجِنْسُ فِي اسْتوكهولمَ يُشْرَبُ كَالنَّبِيذِ عَلَى المَوَائِدْ

- الجِنْسُ يُقْرَأُ فِي السُّويدِ مَعَ الجَرَائِدْ ...

(النَّاطِقُ الرَّسْمِيُّ يُعْلِنُ فِي بَلاغٍ لاحِقٍ،

أَنَّ اليَهُودَ تَزَوَّجُوا زَوجَاتِنَا، وَمَضَوا بِهِنَّ .. فبِالرَّفَاهِ

وَبِالبَنِينْ ..)

على الرغم مِنْ أن القصيدة سياسيَّة؛ فإنه يَذْكُرُ فيها ألفاظا جنسيَّة واضحة، مثل: (فقدان البكارة - الدخول بالمرأة - العيون الفاطمية الساحرة - التسرُّب لفِرَاش ليلى العامرية - الزاني - تلويث الشرف الرفيع - مضاجعة الغزاة - تضييع العفاف - البغايا - الجريمة عاطفيَّة - الثدي المَلِيءُ المُسْتَدِير - ممارسة الهوى مع السويديات - الجنس في اسْتوكهولم - الغواني - تَزَوَّجُوا زَوجَاتِنَا، وَمَضَوا بِهِنَّ).

الخَاتِمَة وَنَتَائِج البَحْث

إن تحليل الجانب النفسيّ لشخصية نِزَار قَبَّانِي أثبت نزعته الجِنْسِيَّة الجامحة؛ التي ظهرت في شعره السياسيّ بطريقة تستوقف نظر الباحث عن تفسير.

والنزعة الجِنْسِيَّة نزعةٌ اجتماعيَّة ونفسيَّة، وقد مَثَّلَ الجِنْسُ عند نِزَار شَهْوَةً مُلِحَّةً، ومُتْعَةً لذيذةً لم يستطع التخلي عنها في كل ما كتب؛ فالمرأة لديه وليمة على سرير أنهكته صُنُوف المُتَع.

لذا استخدم ألفاظًا لها إيحاءات جنسيَّة مُبَاشِرَة، خَرَجَتْ من أعماق اللاشعور تحت تأثير العقل الباطن؛ مِمَّا يَدُلُّ على إلحاح الغريزة الجِنْسِيَّة عليه، ونستطيع أَنْ نَقُول إِنَّ القضية المُلِحَّة على وِجْدَانه هي الجِنْس؛ فهي بمنزلة العَمُود الفقري الذي ينتظم شعره السياسيّ؛ لذا تَوَالَتْ أوصاف جسد المرأة في شعره السياسيّ؛ الذي مَزَجَ فِيهِ بين السياسة والجِنْس، وقد أسرف في استخدام الكلمات الإيروتيكية، التي تؤكد نزعته الجنسية.

فتَحَدَّثَ عن بائعات الهوى، ونَشْوَة المُضَاجَعَة، والفضائح الجِنْسِيَّة، وعبادة الجِنْس، وأثداء الحَرِيم المُتَضَجِّمَة، والزِّنَا، وسُوق البِغَاء، والفُحْش، والتَّعَدِّي على العُذْرِيَّة، والعُقَد الجِنْسِيَّة، وضياع الشَّرَف الرَّفِيع، والعِهْر، والسائل المَنَوِيّ، ومُمَارَسَة فِعْل الغَرَام، واغتصاب عِرْض الأبكار بشكل هَمَجِيّ، واحتضان المرأة وشَمّ عِطْرها، وقرع النَّهْد المستدير، وارتشاف شَفَةُ المَحْبُوب، ورؤية ضَوء الجِنْس الأَحْمَر، والخِتَان، والمواقعة، والمُلامَسَة، والليالي الرخيصة الحمراء، وأدوية القدرة الجِنْسِيَّة، والتحرُّش، واللثم، والضم، والقُبْلَة، والشَّهْوَة، والفُحُولة، وغِشَاء بَكَارة الأُنْثَى، والمُرَاوَدَة، والشَّبَق المُحَرَّم، والمُعَاشَرَة الجِنْسِيَّة، وسماسرة الأثداء، وأفلام الشُّذُوذ، وسَرِير الزِّفَاف، والتَّزِيف، والرَّقْص، والعَضّ، والنوم بين ذِرَاعَي الزوجة على سَرِير الحب، وولادة النهار، والتهام النساء، وخَلْع الإِزَار، وجريمة شَرَف، والزَّوَاج بِالمُتْعَة، والغَرَائِز، ومَصّ حَلَمَات الأَثْدَاء، التي يَنْزِلُ منها الحَلِيب، الذي يَشْرَبُهُ الرضيع.

وأَظْهَرَ انبهارَهُ بأعضاء جسد المرأة: المعاصم الطَّرِيَّة، والفَخْذ، والقدّ، واستدارة الخَصْر النَّحِيل، والسُّرَّة، والخال، والإبط، والرُّكْبَة، والأصابع الصغيرة، والخد، والفم، والأسنان، والعين، والحاجب، والأهداب، والشعر الأسود الطويل المُنْسَدِل على الكتف، ولا تخفى الظلال النفسية العميقة الدلالة لهذه الألفاظ؛ فكلها لها إيحاءات جنسيَّة عميقة صريحة.

لقد كانت المرأة ماثلة -دائمًا- في ذهن نِزَار قَبَّانِي ووِجْدَانِهِ؛ فخرج من مقاصير الحريم، إلى مَيدَان الرَّفْض والمُقَاوَمَة، وقد اجتمعت مُؤَثِّرَات اجتماعيَّة ونفسيَّة وتآزرت لتؤدي إلى ظُهُور هذه النزعة الجِنْسِيَّة في شعره السياسيّ، ولا شَكَّ فِي أَنَّهُ أَجَادَ تَوظِيف نَزْعَتِهِ الجِنْسِيَّة المسيطرة عليه إجادةً فريدة مَيَّزَتْهُ مِنْ شُعَرَاءِ عَصْرِهِ، وشُعَرَاء العَرَب، وتَدُلُّ أَشْعَارُهُ على أنه لم يَتَخَلَّ عَنِ النَّزْعَة الجِنْسِيَّة، على الرغم من أحزانه؛ فهو يَنْظُرُ إلى قضايا الوجود من خلال المرأة وجسدها المُثِير، ومنها القضايا السياسيَّة، وَمِنْ ثَمَّ اصْطَبَغَ شِعْرُهُ السِّيَاسِيّ بالنزعة الجِنْسِيَّة؛ فقد مَزَجَتْ لغتُهُ الشعريَّة ما بين النزعة الجِنْسِيَّة، والشعر السياسيّ، المُتَمَثِّل في المقاومة والقوميَّة الوطنيَّة والعربيَّة.

إِنَّ تَعَلُّقَهُ الشديد بأُمِّهِ -التي ظَلَّتْ تُرْضِعُه حَتَّى سِنّ السابعة، وتُطْعِمُهُ بيدها حَتَّى الثالثة عشرة- تَرَتَّبَ عليه النزعة الجِنْسِيَّة، التي ظهرت في كُلّ أغراضه الشعريَّة؛ حَتَّى السياسيَّة؛ مِمَّا كان له عظيم الأثر في تكوينه النفسيّ، وسُلُوكِه الاجتماعيّ فيما تَبِعَ ذلك مِنْ أَدْوَارِ عُمْرِهِ.

لقد جعل الوطنَ امرأةً جَمِيلة، يَعْشَقُهَا ويَهِيمُ بِهَا، وتَغَزَّلَ في وطنه مثلما تَغَزَّلَ في محبوبته، بل كَانَ الوَطَنُ طريقه إلى محبوبته حينما تَتَوَحَّد المحبوبة مع الوطن، ويُصْبِحُ الوطن عَشِيقَة أجمل من كُلّ العَشِيقَات.

وهو يُؤمِنُ بقضية تَحَرُّر الإنسان، أينما كان، بصرف النظر عن جنسه ولونه، ويهدف إلى تحريض النَّهْد على التمرُّد، والنساء على إسقاط شهريار، والشُّعُوب على الخروج مِنْ ثُقُوبِهَا؛ من أجل أن يَطُولَ عُمْر القُبْلَة، ويَنْقَصِف عُمْر القُنْبلة.

إنَّ الرغبات الجِنْسِيَّة المكبوتة تجد طريقها -بقصدٍ أو دون قصد- إلى الشعر ، وهذا ما وَضَحَ عند نِزَار قَبَّانِي؛ حيث أشبع رغباته على مستوى تخيلاته؛ فظهرت النزعة الجِنْسِيَّة في شعره السياسيّ ؛ لأنَّ ما يختفي من الغرائز الجِنْسِيَّة نتيجة للكبت، الذي تَطْلُبُه التربية والحضارة والثقافة، لا يخرج فقط في الفعل الجِنْسِيّ أو النَّشَاط الجِنْسِيّ، بل يَخْرُجُ في مُخْتَلَف ألوان النَّشَاط، ومنها النشاط الفنيّ؛ لأنَّ الإبداع الفنيّ صورة مِنْ صُوَر الهُرُوب من جِدِّيَّة الحياة، وتحرير الغَرَائِز المكبوتة؛ لتخرج في صورة جميلة لا يُنْكِرُهَا المجتمع.

وعلى الرغم من أن المشاعر المكبوتة بعيدة عن حَيِّز الشُّعُور؛ فإنها لا تموت داخل الإنسان، وإنما تَظَلُّ تَعْمَل بصورة نَشِطَة، وتظهر في شكل رمزيّ، وتُعَبِّر عن نفسها في كثير من سلوك الفرد الواعي، ولكنها لا تظهر بصورة عَلَنِيَّة سافرة، وإنما تظهر بصورة مُقَنَّعَة.

وقد دَلَّتْ أشعارُ نِزَار قَبَّانِي السياسيَّة المصبوغة بالنزعة الجِنْسِيَّة على أنه مُتَعَطِّش -أشدّ ما يَكُون التعطُّش- إلى المرأة؛ فَإِنَّ بوسعنا أن نقول إن الجنس يُمَثِّلُ بالنسبة إليه مِحْوَر الحياة؛ فمختلف المشاعر والأحاسيس وما يتعلق بها من ألوان مختلفة من أفكار جنسيَّة، دفعته إلى هذا النشاط المصبوغ بالنزعة الجِنْسِيَّة.

إن الرغبة الجِنْسِيَّة تتكلم حين تَجِدُ طَرِيقهَا إلى التعبير، أي أن رَدَّ فِعْل الكِتَابَة هو الذي يقوم مقامها حُجَّةً على وُجُودِهَا، وبهذا تكون قد أَنْهَتْ مصيرها، وأحرزت شكلاً من الإشباع؛ فالرغبة الجِنْسِيَّة تُعَبِّرُ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَظْهَرُ إلى الوُجُود مِنْ خِلال الألفاظ والكتابة؛ فالقصيدة لا تنحصر فيما يَحُسُّه الشاعر، ولا فيما يريد قوله، ولا في الانطباع الذي من الضروري أن يختبره كُلّ شخص خاضع للتَّقَلُّبَات، ولكن القصيدة تنتج من القُوَى اللبيدية، كما أن الأُمْنِيَّات السِّرِّيَّة (التفكير المستتر) تتحول لِتُؤَلِّف الفن.

لقد كان نزار قَبَّانِي نَرْجِسِيًّا، ومن دلائل إعجابه الشديد بنفسه، وحُبِّه لذاته، أنه كان يَطْلُبُ من الصحافة إعطاءه الأسئلة ليجيب عنها قبل إجراء الحوار، أو أن يجيب عن أسئلة يضعها بنفسه، وهو يكثر من استخدم ضمير (أنا) الدال على الشعور بالكبرياء، وكانت النرجسية من أسباب ظهور النزعة الجنسية في شعره السياسي.

إنَّ الجِنْسَ مَنْبَعُ النَّشَاطِ الإنسانيّ، وقوة ذاتيَّة دافعة، خطيرة التأثير، وقد أراد نِزَار قَبَّانِي إشهار جسد المرأة المَحْض، ووضعه على مَسْرَح الخطاب؛ لذا تَحَدَّثَ عن المرأة، ووصف جسدها دون خجل؛ فهو يريد أن يغدو الجِنْس ترتيلاً وإنشادًا.

ولفظ (النهد) من أكثر الألفاظ ورودًا في شعر نِزَار قَبَّانِي على وجه العموم، وشعره السياسيّ على نحوٍ خاصّ، ولَعَلَّ تِكْرَار تصويره للنهد في شعره السياسيّ يعود إلى أُمِّه، التي ظَلَّتْ تُرْضِعُهُ حَتَّى سِنّ السابعة، وتلك الفترة الطويلة، غير الشائعة في الرَّضَاعَة، أَبْقَتْ علاقة الطفل وطيدة مع الأُمّ، وظَلَّ النَّهْد في حياة الطفل مصدرًا للمعرفة، ويَنْبُوعًا للدفء والأمان، ورمزًا للاشتياق إلى مرحلة فَاضَ فيها الحبّ.

لقد مَزَجَ السياسة والجنس معًا؛ وما قاده إلى ذلك إلا انشغال الذهن بهما؛ فبَدَتْ اللوحة متكاملة، وغَدَا الجنس - بِمَا فيه مِنْ بَذْلِ حَرَكَاتٍ مُعَيَّنة، وامتلاك، وعلاقات غير متكافئة، واستهلاك قدرات، وحالة سلب لحظة العُنْف – سُلْطَة سياسية قاهرة.

الحَوَاشِي:

١) آلاء غَسَّان عَبده أصفهاني : نَثْر نِزَار قَبَّانِي فِي ضَوء اللِّسَانِيَّات الاجْتِمَاعِيَّة ، رسالة لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة الشرق الأوسط ، ٢٠١٤م ، ص ٢٧ - ٢٩ .

٢) أحمد زكي أبو شادي : شعراء العرب المعاصرون ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٨م ، ص ١٠٥ .

٣) عبد العزيز المقالح : الشعر بين الرؤيا والتشكيل ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨١م ، ص ١٧٠ .

٤) نزار قباني : المرأة في شعري وفي حياتي ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م ، ص ٧٥.

٥) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م ، ص ١٣٤.

٦) المصدر السابق ، ص ١٧٩.

٧) المصدر نفسه ، ص ٢٥٧ .

٨) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

٩) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .

١٠) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ .

١١) المصدر نفسه ، ص ٨٥ - ٨٦ .

١٢) نزار قباني : ما هو الشعر ؟ ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، د . ت ، ص ٦٠ .

١٣) المصدر السابق ، ص ٦١ .

١٤) هشام عطية القواسمة : الرؤيا والتشكيل ؛ دراسة في شعر نزار قباني ، رسالة لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير ، كلية الدراسات العليا ، جامعة مؤتة ، الكرك ، الأردن ، ٢٠٠٩م ، ص ٧٦ .

١٥) جبرا إبراهيم جبرا : النار والجوهر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م ، ص ١٧٩ .

١٦) آلاء غَسَّان عَبده أصفهاني : نَثْر نِزَار قَبَّانِي فِي ضَوء اللِّسَانِيَّات الاجْتِمَاعِيَّة ، ص ٢٢ .

١٧) أمينة صبري : حديث الذكريات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص ١٠٥.

١٨) إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، سلسلة عالم المعرفة (٢) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، فبراير ١٩٧٨م، ص ١٣٨ .

١٩) أحمد زكي أبو شادي : شعراء العرب المعاصرون ، ص ١٠٥ .

٢٠) نزار قباني : المرأة في شعري وفي حياتي ، ص ٩.

٢١) نزار قباني : أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣م ، ص ٧ .

٢٢) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ٢٩٠ .

٢٣) نزار قباني : المرأة في شعري وفي حياتي ، ص ٢٢.

٢٤) المصدر السابق ، ص ١٢.

٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٣.

٢٦) المصدر نفسه ، ص ٣٩.

٢٧) نزار قباني : ما هو الشعر ؟ ، ص ٥٤ .

٢٨) نزار قباني : المرأة في شعري وفي حياتي ، ص ٤١.

٢٩) المصدر السابق ، ص ٥٠.

٣٠) المصدر نفسه ، ص ٦٦.

٣١) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ١٤٨ - ١٤٩.

٣٢) نزار قباني : المرأة في شعري وفي حياتي ، ص ٧٦ .

٣٣) هشام عطية القواسمة : الرؤيا والتشكيل ؛ دراسة في شعر نزار قباني ، ص ١٧٩ .

٣٤) نزار قباني : العصافير لا تطلب تأشيرة دخول ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م ، ص ١٠١ .

٣٥) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ٨٤ .

٣٦) نزار قباني : أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء ، ص ١٥٤ .

٣٧) نزار قباني : العصافير لا تطلب تأشيرة دخول ، ص ٦٠ .

٣٨) نزار قباني : ما هو الشعر ؟ ، ص ٢٦ .

٣٩) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ٢٥٧ .

٤٠) المصدر السابق ، ص ٨٢ .
٤١) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .
٤٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ .
٤٣) أحمد يونس فقيه : ملامح الالتزام القومي في شعر نزار قباني ، دار بركات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص ٢٠١ .
٤٤) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ٢٦١ .
٤٥) محمد يوسف نجم : نزار قباني شاعر لكل الأجيال ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ١٩٩٨م ، ص ٦٨٨ .
٤٦) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ١٩٠ .
٤٧) المصدر السابق ، ص ١٩٦ .
٤٨) محمد يوسف نجم : نزار قباني شاعر لكل الأجيال ، ص ٧١٦ .
٤٩) حبيبة محمدي : القصيدة السياسية في شعر نزار قباني ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ٨٩- ٩٠ .
٥٠) أدونيس : زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ، ط٢ ، د . ت ، ص ٧٨ .
٥١) أحمد تاج الدين : نزار قباني والشعر السياسي ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، ص ٩٢ .
٥٢) نضال نصر الله : نزار قباني وقصائد كانت ممنوعة ، الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق ، ٢٠٠٣م ، ص ٤٤ .
٥٣) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ٨٠ .
٥٤) المصدر السابق ، ص ٨١ .
٥٥) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .
٥٦) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .
٥٧) نزار قباني : قصائد ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ط ٢٥ ، ١٩٨١م ، ص٢ .
٥٨) خليل الموسى : تَجلِّيَات الفَضَاء المَفْتُوح فِي شِعْرِ نِزَار قَبَّانِي ، ضمن كتاب (وقائع الندوة العربية عن الشاعر الكبير نِزَار قَبَّاني) ، إعداد وتوثيق نزيه خوري ، الهيئة السوريَّة العامة للكتاب ، دمشق ، ٢٠٠٨م ، ص ١٩٤ .
٥٩) أنيس الدغيدي : القصائد الممنوعة لنزار قباني ، كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص ١١ – ١٣ .
٦٠) محمد مصطفى عبد الرحمن : البناء الفني للشعر الغزلي عند نزار قباني ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، جامعة الفيوم ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢ .
٦١) محمد مصطفى هدارة : في الأدب العربي الحديث ، د . ط ، الإسكندرية ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ص ٦٤ - ٦٥ .
٦٢) نزار قباني : الأعمال النثريَّة الكاملة ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ٢٥٣/٧.
٦٣) المصدر السابق ، ٢٥٦/٧.
٦٤) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ٧٧ .
٦٥) المصدر السابق ، ص ٧٨ .
٦٦) نزار قباني : العصافير لا تطلب تأشيرة دخول ، ص ٥١ .
٦٧) صلاح الدين الهواري : المرأة في شعر نزار قباني ، دار البحار ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤م ، ص ٤٥ .
٦٨) نزار قباني : قصائد سياسية بلا ديوان ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م ، ص ٣٨٧ .
٦٩) المصدر السابق ، ص ١٤١ – ١٤٢ .
٧٠) المصدر نفسه ، ص ٤٢٤ .
٧١) المصدر نفسه ، ص ٤٣٨ .
٧٢) نزار قباني : أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء ، ص ٧ .
٧٣) المصدر السابق ، ص ١٢١ .
٧٤) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٩م ، ص ١٠٥ .
٧٥) نبيلة تاوريريت :حَدَاثَة التِّكْرَار وَدلالته فِي القَصَائِد المَمْنُوعَة لِنِزَار قَبَّانِي ، مجلة جامعة العلوم العربية وآدابها ، جامعة الوادي ، العدد (٤) ، مارس ٢٠١٢م ، ص ٣٧ .
٧٦) نزار قباني : أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء ، ص ٢٩ .
٧٧) المصدر السابق ، ص ٥٧ .
٧٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .
٧٩) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .
٨٠) المصدر نفسه ، ص ١٩ .
٨١) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

٨٢) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
٨٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .
٨٤) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص ٩٣ .
٨٥) المصدر السابق ، ص ٤١٤ .
٨٦) المصدر نفسه ، ص ٤٣٠ .
٨٧) المصدر نفسه ، ص ٤٣٩ .
٨٨) المصدر نفسه ، ص ٤٥٥ .
٨٩) المصدر نفسه ، ص ٥٦٧ .
٩٠) نزار قباني : المرأة في شعري وفي حياتي ، ص ٢٠.
٩١) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص ٣٧٧ .
٩٢) المصدر السابق ، ص ٣٨٠ .
٩٣) المصدر نفسه ، ص ٣٨٢ .
٩٤) نزار قباني : العصافير لا تطلب تأشيرة دخول ، ص ٣٣ .
٩٥) هشام عطية القواسمة : الرؤيا والتشكيل ؛ دراسة في شعر نزار قباني ، ص ٦٣ .
٩٦) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص ١٢٣ .
٩٧) نزار قباني : المرأة في شعري وفي حياتي ، ص ٣٣.
٩٨) المصدر السابق ، ص ٣٤.
٩٩) المصدر نفسه ، ص ٢٦٧ .
١٠٠) المصدر نفسه ، ص ٧٨.
١٠١) المصدر نفسه ، ص ٦١ - ٦٢.
١٠٢) انظر: عبد الرحمن الوصيفي : نزار قباني شاعرًا سياسيًا ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٤م .
١٠٣) صلاح الدين الهواري : المرأة في شعر نزار قباني ، ص ١٢٤ .
١٠٤) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ٢٣١ .
١٠٥) نزار قباني : قصائد سياسية بلا ديوان ، ص ٤٦ .
١٠٦) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ٢٣١ .
١٠٧) نزار قباني : بيروت حرية لا تشيخ ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م ، ص ٥ - ٦ .
١٠٨) إريك لويا : الجنس والمجتمع في شعر نزار قباني ، مجلة الآداب البيروتية ، بيروت ، العدد (٣) ، ١٩٧١م ، ص ٥٩ .
١٠٩) محمد يوسف نجم : نزار قباني شاعر لكل الأجيال ، ص ٨٨٧ .
١١٠) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص ١٥١ .
١١١) المصدر السابق ، ص ١٥٢ .
١١٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٧ .
١١٣) عبد المنعم الحفني : المَوسُوعَة النَّفْسِيَّة الجِنْسِيَّة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٤ ، ٢٠٠٢م ، ص ٧٣ .
١١٤) غالي شكري : أزمة الجنس في القصة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٨م ، ص٤٤.
١١٥) المرجع السابق ، ص ٤٤ .
١١٦) الكبت (Repression) هو حَجَر الزاوية الذي تقوم عليه كل عمليات التحليل النفسي ؛ حيث يستبعد الأنا الدافع الحقيقي عن الشعور استبعادًا تامًّا ، مستعينًا بحيلة أو أكثر من حيل الدفاع ، وعلاج الكبت يتم بإدراك أسباب المخاوف التي دفعت إليه .
- عبد المنعم الحفني : موسوعة أعلام علم النفس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص ٢٥٠ .
- جان لابلانش وج . ب . بونتاليس : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ترجمة مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ منقحة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٤١٦ – ٤٢١ .
١١٧) فرويد : حياتي والتحليل النفسي ، ترجمة مصطفى زيور ، عبد المنعم المليجي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٤م ، ص ٥٣ – ٥٤ .
١١٨) فرويد : ما فوق مبدأ اللذة ، ترجمة إسحاق رمزي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٩٤م ، ص ١١ – ١٢ .
١١٩) عبد الرحمن العيسوي : علم النفس الإكلينيكي ، الدار الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص ٦٤ - ٦٥ .
١٢٠) نزار قباني : قصائد سياسية بلا ديوان ، ص ٣٢٠ – ٣٢٧ .
١٢١) المصدر السابق ، ص ٣٢٧ – ٣٢٩ .
١٢٢) ميخائيل باختين : الفرويدية ، ترجمة شكير نصر الدين ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٥م ، ص ٥٩- ٦١ .

١٢٣) المرجع السابق ، ص ٦٢ .
١٢٤) فرويد : ما فوق مبدأ اللذة ، ص ٨- ٩ .
١٢٥) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص ٥٢٩ .
١٢٦) المصدر السابق ، ص ٥٣٢ .
١٢٧) المصدر نفسه ، ص ٥٣٩ .
١٢٨) سيجموند فرويد : الحَيَاة الجِنْسِيَّة ، ترجمة جُورج طَرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ٢٠١٣م ، ص ٦٤ – ٦٥ .
١٢٩) سيجموند فرويد : الموجز في التحليل النفسي ، تقديم محمد عثمان نجاتي ، ترجمة سامي محمود علي ، عبد السلام القفاش ، مراجعة مصطفى زيوار ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٨م ، ص ٦٨ .
١٣٠) سيجموند فرويد: ثلاث مقالات في نظرية الجنس، ترجمة سامي محمود علي، مصطفى زيوار، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٩٨م، ص٢٩.
١٣١) المرجع السابق ، ص ٥ .
١٣٢) نزار قباني : الأعمال النثرِيَّة الكاملة ، ٣١١/٧.
١٣٣) ميخائيل باختين : الفرويدية ، ص ١٧٤ .
١٣٤) مأمون صالح : الشخصية ؛ بناؤها ، تكوينها ، أنماطها ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص ٦٩ – ٧٣ .
١٣٥) المرجع السابق ، ص ٨٩ - ٩٣ .
١٣٦) أمينة غصن : جاك دريدا في العقل والكتابة والختان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ص ١٦ .
١٣٧) نزار قباني : قصائد سياسية بلا ديوان ، ص ٣٧٨ – ٣٨٢ .
١٣٨) ميخائيل باختين : الفرويدية ، ص ٥٥ .
١٣٩) ثيودور رايك : الدافع الجنسي ، ترجمة ثائر ديب ، دار الحوار ، اللاذقية ، سورية ، ط١ ، ١٩٩٢م ، ص ١٩ .
١٤٠) نزار قباني : قصائد سياسية بلا ديوان ، ص ٣٤٠ – ٣٥٥ .
١٤١) فرويد : مختصر التحليل النفسي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١م ، ص ٩٠.
١٤٢) نزار قباني : قصائد سياسية بلا ديوان ، ص ٢٢١- ٢٢٢ .
١٤٣) المصدر السابق ، ص ١٨٦ – ١٩٠ .
١٤٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧- ٢٢٨ .
١٤٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢٩- ٢٣٠ .
١٤٦) سيجموند فرويد : الكَفّ والعَرَض والقَلَق ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢م ، ص ٣٦ .
١٤٧) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص ٣٩١ .
١٤٨) المصدر السابق ، ص ٣٩٢ .
١٤٩) المصدر نفسه ، ص ٤٠٨ .
١٥٠) المصدر نفسه ، ص١٥.
١٥١) المصدر السابق ، ص١٧.
١٥٢) المصدر نفسه ، ص١٨.
١٥٣) المصدر نفسه ، ص٢٢.
١٥٤) المصدر نفسه ، ص٢٤.
١٥٥) المصدر نفسه ، ص٨٣.
١٥٦) المصدر نفسه ، ص٨٥.
١٥٧) المصدر نفسه ، ص٨٧ – ٨٨ .
١٥٨) المصدر نفسه ، ص ٨٩ .
١٥٩) المصدر نفسه ، ص ٩١ .
١٦٠) المصدر نفسه ، ص ١١٠ .
١٦١) أحمد حيدوش : شِعْرِيَّة المَرْأَة وَأُنُوثَة القَصِيدَة ؛ قِرَاءَة فِي شِعْرِ نِزَار قَبَّاني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م ، ص ١٣٤ .
١٦٢) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص ١١١ .
١٦٣) المصدر السابق ، ص ١١٣ .
١٦٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٢ - ١٣٣.
١٦٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .
١٦٦) محمد مصطفى عبد الرحمن : البناء الفني للشعر الغزلي عند نزار قباني ، ص ٢٦٨ .

١٦٧) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص ١٨٧ .
١٦٨) المصدر السابق ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
١٦٩) المصدر نفسه ، ص ٢٢١ .
١٧٠) المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ .
١٧١) المصدر نفسه ، ص ٢٥٢ .
١٧٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٤ .
١٧٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ - ٢٧١ .
١٧٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧٨ .
١٧٥) المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ .
١٧٦) المصدر نفسه ، ص ٣٢٥- ٣٢٦ .
١٧٧) المصدر نفسه ، ص ٣٢٩ .
١٧٨) المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ .
١٧٩) المصدر نفسه ، ص ٣٣٢ .
١٨٠) المصدر نفسه ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .
١٨١) المصدر نفسه ، ص ٣٣٧ .
١٨٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ .
١٨٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٢ .
١٨٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥٥ .
١٨٥) المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .
١٨٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .
١٨٧) المصدر نفسه ، ص ٤١٠ .
١٨٨) المصدر نفسه ، ص ٤٤٢ .
١٨٩) المصدر نفسه ، ص ٤٤٧ .
١٩٠) المصدر نفسه ، ص ٤٥٢ .
١٩١) المصدر نفسه ، ص ٥٤١ - ٥٤٢.
١٩٢) المصدر نفسه ، ص ٥٥٧ .
١٩٣) المصدر نفسه ، ص ٥٨٠ .
١٩٤) المصدر نفسه ، ص ٥٩٦ .
١٩٥) المصدر نفسه ، ص ٦٠٩ .
١٩٦) المصدر نفسه ، ص ٦١٧ .
١٩٧) فرويد : الطوطم والتابو ؛ بعض المطابقات في نفسية المتوحشين والعصابيين ، ترجمة بو علي ياسين ، راجعه محمود كبيبو ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، اللاذقية ، ط١ ، ١٩٨٣م ، ص ١٠٦ .
١٩٨) سيجموند فرويد : الحَيَاة الجِنْسِيَّة ، ص ١١٣ – ١٤٨ .
١٩٩) انظر: خريستو نجم : النرجسية في أدب نزار قباني ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣م .
٢٠٠) جهاد فاضل : فَتَافِيت شَاعر ؛ وَقَائِع مَعْرَكَة مَعَ نِزَار قَبَّانِي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، ص ١٦١- ١٦٢ .
٢٠١) محمد مصطفى هدارة : في الأدب العربي الحديث ، ص ٥٤ .
٢٠٢) المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ .
٢٠٣) المرجع نفسه ، ص ٥٩ .
٢٠٤) عبد الرقيب أحمد البحيري : الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ص ٣٢ .
٢٠٥) مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعي ؛ مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، المركز الثقافيّ العربيّ ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، ط ٩، ٢٠٠٥م ، ص ٢٤٣ .
٢٠٦) سيجموند فرويد : ثلاث مقالات في نظرية الجنس ، ص١٧٤.
٢٠٧) نزار قباني : الأعمال الكاملة للشاعر نزار قباني ، إعداد محمد صلاح السيد ، دار الخلود للتراث ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٩م، ٨٨١/٢ – ٨٨٤ .
٢٠٨) غالي شكري : أزمة الجنس في القصة العربية ، ص ١٢٦ .

٢٠٩) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .
٢١٠) محمد مصطفى هدارة : في الأدب العربي الحديث ، ص ٦٤ .
٢١١) إيليا الحاوي : نزار قباني ؛ شاعر المرأة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٧٣م ، ص ٧٥ .
٢١٢) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص١٨٠.
٢١٣) أحمد تاج الدين : نزار قباني والشعر السياسي ، ص ١٤ .
٢١٤) إيليا الحاوي : نزار قباني ؛ شاعر المرأة ، ص ٦٦ .
٢١٥) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص١٥٢.
٢١٦) المصدر السابق ، ص١٨٧.
٢١٧) المصدر نفسه ، ص١٩٤.
٢١٨) المصدر نفسه ، ص٤٣٨.
٢١٩) عبد الله مُحَمَّد الغَذَّامي : النقد الثقافيّ ؛ قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، ط٣ ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٦٧ .
٢٢٠) غالي شكري : أزمة الجنس في القصة العربية ، ص ٢٦٨ .
٢٢١) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ١٤٠.
٢٢٢) المصدر السابق ، ص ١٤٤.
٢٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٤.
٢٢٤) المصدر نفسه ، ص ٩٩ .
٢٢٥) المصدر نفسه ، ص ٩٦ .
٢٢٦) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .
٢٢٧) المصدر نفسه ، ص ٩٩ .
٢٢٨) نزار قباني : المرأة في شعري وفي حياتي ، ص ٥٦.
٢٢٩) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ١٦٩ .
٢٣٠) المصدر السابق ، ص ٢١٧ .
٢٣١) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .
٢٣٢) نزار قباني : ما هو الشعر ؟ ، ص ٥٥ .
٢٣٣) انظر : لطفي الشربيني : معجم مصطلحات الطب النفسي ، مراجعة عادل صادق ، تحرير مركز تعريب العلوم الصحية ، سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت ، د . ت ، ص٥٣ . جان لابلانش وج . ب . بونتاليس : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .
٢٣٤) نزار قباني : أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء ، ص ٣٧ .
٢٣٥) نزار قباني : قصتي مع الشعر ، ص ١٦٢ .
٢٣٦) نزار قباني : أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء ، ص ٤١ .
٢٣٧) المصدر السابق ، ص ٤٦ .
٢٣٨) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص ١٣٦ – ١٣٧ .
٢٣٩) من الأمثال العربية (الحُسْن أحمر) ، ومعناه : مَنْ طَلَبَ الجمالَ احتمَلَ المشقَّةَ .
- العسكري : جمهرة الأمثال ، ضبطه وكتب هوامشه ونَسَّقَهُ أحمد عبد السلام ، خَرَّجَ أحاديثه أبو هاجر محمد بن سعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ٢٩٦/١ .
- الميداني : مجمع الأمثال ، قَدَّمَ له وعَلَّقَ عليه نعيم حسين زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ٢٦٠/١ .
٢٤٠) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص ١٣٧ – ١٣٨ .
٢٤١) المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
٢٤٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .
٢٤٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٦ .
٢٤٤) انظر : نذير العظمة : صورة النهد في شعر نزار قباني ؛ ملامحها الفنية ، حوافزها ، دلالاتها ، ضمن كتاب (وقائع الندوة العربية عن الشاعر الكبير نِزَار قَبَّاني) .
٢٤٥) نزار قباني : أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء ، ص ٧٨ .
٢٤٦) المصدر السابق ، ص ٩٨ .

٢٤٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ .
٢٤٨) المصدر نفسه ، ص ١٣٠ .
٢٤٩) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .
٢٥٠) المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .
٢٥١) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .
٢٥٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .
٢٥٣) نزار قباني : العصافير لا تطلب تأشيرة دخول ، ص ٦٠ .
٢٥٤) نزار قباني : أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء ، ص ٧٠ .
٢٥٥) المصدر السابق ، ص ٢٢ .
٢٥٦) المصدر نفسه ، ص ٤٦ .
٢٥٧) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .
٢٥٨) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
٢٥٩) نزار قباني : قصائد سياسية بلا ديوان ، ص ٢٢٨ .
٢٦٠) نزار قباني : ما هو الشعر ؟ ، ص ٩٥ .
٢٦١) نزار قباني : أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء ، ص ١١٨ .
٢٦٢) نزار قباني : العصافير لا تطلب تأشيرة دخول ، ص ٤٢ .
٢٦٣) نزار قباني : أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء ، ص ١٠٣ .
٢٦٤) نزار قباني : جمهورية جنونستان (لندن سابقا) ، مسرحية من ثلاثة فصول ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م ، ص ٤٤ .
٢٦٥) نزار قباني : أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء ، ص ١٢ - ١٣ .
٢٦٦) المصدر السابق ، ص ١٦- ٢٢ .
٢٦٧) المصدر نفسه ، ص ٦٤ – ٦٥ .
٢٦٨) المصدر نفسه ، ص ١١ .
٢٦٩) كامل مجدي : نزار شاعر المرأة ، دار الوليد للدراسات والنشر والترجمة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٤م ، ص ٣٢٥ .
٢٧٠) إبراهيم محمود : الشَّبَق المُحَرَّم : أنطولوجيا النصوص الممنوعة ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٦م ، ص ٢٦٧ .
٢٧١) المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .
٢٧٢) حبيبة محمدي : القصيدة السياسية في شعر نزار قباني ، ص ١٥٧ .
٢٧٣) جهاد فاضل : فَتَافِيت شَاعر : وَقَائِع مَعْرَكَة مَعَ نِزَار قَبَّانِي ، ص ٨٢ – ٨٣ .
٢٧٤) أنيس الدغيدي : القصائد الممنوعة لنزار قباني ، ص ٣٤ .
٢٧٥) نزار قباني : قصائد سياسية بلا ديوان ، ص ٣٩ – ٤٣ .
٢٧٦) المصدر السابق ، ص ٧٥ .
٢٧٧) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .
٢٧٨) المصدر نفسه ، ص ٨٠ – ٨١ .
٢٧٩) المصدر نفسه ، ص ٨٠ – ١١٠ .
٢٨٠) المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .
٢٨١) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ .
٢٨٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٤ .
٢٨٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٤.
٢٨٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧- ٢٣٨ .
٢٨٥) المصدر نفسه ، ص ٤٣٤ .
٢٨٦) المصدر نفسه ، ص ٤٤٣- ٤٥٠ .
٢٨٧) المصدر نفسه ، ص ٤٥٥ - ٤٦٦ .
٢٨٨) المصدر نفسه ، ص ٤٦٩ - ٤٧٦ .
٢٨٩) المصدر نفسه ، ص ٤٨٠ - ٤٨١ .
٢٩٠) المصدر نفسه ، ص ٤٨٧ - ٤٩٨ .
٢٩١) المصدر نفسه ، ص ٥٠٧ - ٥١٠ .

٢٩٢) المصدر نفسه ، ص ٥٨٧ .
٢٩٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ – ٣١٣ .
٢٩٤) نزار قباني : الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، ص٢٨.
٢٩٥) المصدر السابق ، ص٢٩.
٢٩٦) المصدر نفسه ، ص٣٠.
٢٩٧) المصدر نفسه ، ص٣٤.
٢٩٨) المصدر نفسه ، ص٣٨.
٢٩٩) المصدر نفسه ، ص٤٠.
٣٠٠) المصدر نفسه ، ص٤٣.
٣٠١) المصدر نفسه ، ص٤٦.
٣٠٢) المصدر نفسه ، ص٥٠.
٣٠٣) المصدر نفسه ، ص٧٢.
٣٠٤) جان بيلمان نويل : التحليل النفسي والأدب ، ترجمة حسن المودن ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م، ص ٣٤ – ٣٥ .
٣٠٥) انظر: نزار قباني : قصائد سياسية بلا ديوان ، ص ١٦٧ – ١٧٨ .
٣٠٦) عيد بلبع : نمط خاص من التحرر ؛ نزار قباني وتخصيب اللغة ، مجلة أمواج ، الإسكندرية ، ٢٠٠٧م ، ص ١٣ .
٣٠٧) المرجع السابق ، ص ١٤ .

المَصَادِرُ والمَرَاجِعُ:

أولا : المَصَادِر :

*** العسكريّ – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥هـ):**

١- جمهرة الأمثال ، ضبطه وكتب هوامشه ونَسَّقَهُ أحمد عبد السلام ، خَرَّجَ أحاديثه أبو هاجر محمد بن سعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

*** الميداني – أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٥١٨هـ) :**

٢- مجمع الأمثال ، قدم له وعلق عليه نعيم حسين زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

*** نزار قباني :**

٣- الأَعْمَالُ السِّيَاسِيَّةُ الكَامِلَةُ ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٩م .
٤- قصائد ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ط ٢٥ ، ١٩٨١م .
٥- قصائد سياسية بلا ديوان ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م .
٦- أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ،١٩٩٣م.
٧- قصتي مع الشعر ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م .
٨- المرأة في شعري وفي حياتي ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م .
٩- ما هو الشعر ؟ ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، د . ت .
١٠- العصافير لا تطلب تأشيرة دخول ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م .
١١- بيروت حرية لا تشيخ ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م .
١٢- جمهورية جنونستان (لندن سابقا) ، مسرحية من ثلاثة فصول ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م .
١٣- الأعمال الكاملة للشاعر نزار قباني ، إعداد محمد صلاح السيد ، دار الخلود للتراث ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
١٤- الأعمال النثريَّة الكاملة ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٣م .

ثانيًا : المَرَاجِعُ العَرَبِيَّة :

*** إبراهيم محمود :**

١٥- الشَّبَق المُحَرَّم ؛ أنطولوجيا النصوص الممنوعة ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٦م .

* إحسان عباس :
١٦- اتجاهات الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة (٢) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، فبراير ١٩٧٨م .
* أحمد تاج الدين :
١٧- نزار قباني والشعر السياسي ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
* أحمد حيدوش :
١٨- شِعْرِيَّة المَرْأَة وَأُنُوثَة القَصِيدَة ؛ قِرَاءَة فِي شِعْرِ نِزَار قَبَّاني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م .
* أحمد زكي أبو شادي :
١٩- شعراء العرب المعاصرون ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٨م .
* أحمد يونس فقيه :
٢٠- ملامح الالتزام القومي في شعر نزار قباني ، دار بركات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .
* أدونيس :
٢١- زمن الشعر، دار العودة ، بيروت ، ط٢ ، د . ت .
* أمينة صبري :
٢٢- حديث الذكريات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
* أمينة غصن :
٢٣- جاك دريدا في العقل والكتابة والختان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
* أنيس الدغيدي :
٢٤- القصائد الممنوعة لنزار قباني ، كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
* إيليا الحاوي :
٢٥- نزار قباني ؛ شاعر المرأة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٧٣م .
* جبرا إبراهيم جبرا :
٢٦- النار والجوهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٢م .
* جهاد فاضل :
٢٧- فَتَافِيت شَاعر ؛ وَقَائِع مَعْرَكَة مَعَ نِزَار قَبَّانِي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
* حبيبة محمدي :
٢٨- القصيدة السياسية في شعر نزار قباني ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م .
* خريستو نجم :
٢٩- النرجسية في أدب نزار قباني ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣م .
* صلاح الدين الهواري :
٣٠- المرأة في شعر نزار قباني ، دار البحار، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤م .
* عبد الرحمن العيسوي :
٣١- علم النفس الإكلينيكي ، الدار الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٢م .
* عبد الرحمن الوصيفي :
٣٢- نزار قباني شاعرًا سياسيًا ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٤م .
* عبد الرقيب أحمد البحيري :
٣٣- الشخصية النرجسيَّة ؛ دراسة في ضوء التحليل النفسيّ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٧م .
* عبد العزيز المقالح :
٣٤- الشعر بين الرؤيا والتشكيل ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨١م .
* عبد الله مُحَمَّد الغَذَّامِي :
٣٥- النقد الثقافيّ ؛ قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، ط٣ ، ٢٠٠٥م .
* عبد المنعم الحفني :

٣٦- المَوسُوعَة النَّفْسِيَّة الجِنْسِيَّة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٤ ، ٢٠٠٢م .
٣٧- موسوعة أعلام علم النفس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٣م .
*** غالي شكري :**
٣٨- أزمة الجنس في القصة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٨م .
*** كامل مجدي :**
٣٩- نزار شاعر المرأة ، دار الوليد للدراسات والنشر والترجمة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٤م .
*** لطفي الشربيني :**
٤٠- معجم مصطلحات الطب النفسي ، مراجعة عادل صادق ، تحرير مركز تعريب العلوم الصحية ، سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت ، د . ت .
*** مأمون صالح :**
٤١- الشخصية ؛ بناؤها ، تكوينها ، أنماطها ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
*** مجموعة من الباحثين :**
٤٢- وقائع الندوة العربية عن الشاعر الكبير نِزَار قَبَّاني ، إعداد وتوثيق نزيه خوري ، الهيئة السوريَّة العامة للكتاب ، دمشق ، ٢٠٠٨م .
*** محمد مصطفى هدارة :**
٤٣- في الأدب العربي الحديث ، د . ط ، الإسكندرية ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
*** محمد يوسف نجم :**
٤٤- نزار قباني شاعر لكل الأجيال ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ١٩٩٨م .
*** مصطفى حجازي :**
٤٥- التخلف الاجتماعي؛ مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط ٩ ، ٢٠٠٥م.
*** نضال نصر الله :**
٤٦- نزار قباني وقصائد كانت ممنوعة ، الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق ، ٢٠٠٣م .

ثالثًا : المَرَاجِعُ الأَجْنَبِيَّة المُتَرْجَمَة :

*** باختين ، ميخائيل :**
٤٧- الفرويدية ، ترجمة شكير نصر الدين ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١، ٢٠١٥م.
*** رايك ، ثيودور :**
٤٨- الدافع الجنسي ، ترجمة ثائر ديب ، دار الحوار ، اللاذقية ، سورية ، ط١ ، ١٩٩٢م .
*** فرويد ، سيجموند :**
٤٩- الحَيَاةُ الجِنْسِيَّةُ ، ترجمة جُورج طَرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ٢٠١٣م .
٥٠- الموجز في التحليل النفسي ، تقديم محمد عثمان نجاتي ، ترجمة سامي محمود علي ، عبد السلام القفاش ، مراجعة مصطفى زيوار ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٨م .
٥١- ثلاث مقالات في نظرية الجنس ، ترجمة سامي محمود علي ، مصطفى زيوار ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٨م .
٥٢- حياتي والتحليل النفسي ، ترجمة مصطفى زيور ، عبد المنعم المليجي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٤م .
٥٣- ما فوق مبدأ اللذة ، ترجمة إسحاق رمزي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٩٤م .
٥٤- مختصر التحليل النفسي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١م .
٥٥- الكَفّ والعَرَض والقَلَق ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢م .
٥٦- الطوطم والتابو ؛ بعض المطابقات في نفسية المتوحشين والعصابيين ، ترجمة بو علي ياسين ، راجعه محمود كبيبو ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، اللاذقية ، ط١ ، ١٩٨٣م .
*** لابلانش ، جان وبونتاليس ، ج . ب. :**
٥٧ - معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ترجمة مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ منقحة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
*** نويل ، جان بيلمان :**

٥٨- التحليل النفسي والأدب ، ترجمة حسن المودن ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م .

رابعًا : الدَّورِيَّات :

*** إريك لويا :**

٥٩- الجنس والمجتمع في شعر نزار قباني ، مجلة الآداب البيروتية ، بيروت ، العدد (٣) ، ١٩٧١م .

*** عيد بلبع :**

٦٠- نمط خاص من التحرر ؛ نزار قباني وتخصيب اللغة ، مجلة أمواج ، الإسكندرية ، ٢٠٠٧م .

*** نبيلة تاوريريت :**

٦١- حَدَاثَة التِّكْرَار وَدلالته فِي القَصَائِد المَنْثُوعَة لِنِزَار قَبَّانِي ، مجلة جامعة العلوم العربية وآدابها ، جامعة الوادي ، العدد (٤) ، مارس ٢٠١٢م .

خامسًا : الرَّسَائِل الجَامِعِيَّة:

*** آلاء غَسَّان عَبده أصفهاني :**

٦٢- نَثْر نِزَار قَبَّانِي فِي ضَوء اللِّسَانِيَّات الاجْتِمَاعِيَّة ، رسالة لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة الشرق الأوسط ، ٢٠١٤م .

*** محمد مصطفى عبد الرحمن :**

٦٣- البناء الفني للشعر الغزلي عند نزار قباني ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، جامعة الفيوم ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

*** هشام عطية القواسمة :**

٦٤- الرؤيا والتشكيل ؛ دراسة في شعر نزار قباني ، رسالة لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير ، كلية الدراسات العليا ، جامعة مؤتة ، الأردن ، ٢٠٠٩م .